سلسلة كتب الدعوة والخطابة

الكتاب الخامس عشر

الوحدة الإسلامية

(فريضة وضرورة)

أ.د/ أحمد عبد الهادي شاهين

أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر

وعضو هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة.

من نور القرآن الكريم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

سورة آل عمران الآية (١٠٣).

الوحدة الإسلامية فريضة وضرورة.

رقم الإيداع/ ٧٣٧٦/ ٢٠٢٢ بدار الكتب المصرية.

الترقي الدولي:978-977-94-1134-7

الطبعة الأولى/ سنة ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه. **وبعد**...

فإن الأمة الإسلامية على اتساع رقعتها، وامتداد تاريخها، تتكون من شعوب وقبائل، وأقاليم وأمصار، ودول وممالك، لكنها في النهاية أمة واحدة، جمعها الدين، وهذبها الإسلام، وربط بين أذواقها ومشاربها، حتى إن الله ﷻ خاطبها بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[٢].

فهي أمة واحدة في العقيدة والشريعة، والأخلاق والمعاملات، وهي أمة واحدة في غايتها ووجهتها، وهي أمة واحدة في أفكارها ومفاهيمها، وهي أمة واحدة في مشاعرها وأحاسيسها.

لقد صور النبي ﷺ هذه الوحدة فشبهها بالجسد الواحد في قوله ﷺ: **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"**[٣].

---

(١) سورة المؤمنون الآية (٥٢).

(٢) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وقال ﷺ: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"**[١]. وقال ﷺ: **"المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله"**[٢].

ولقد اختار الله ﷻ هذه الأمة الإسلامية لتكون خير الأمم، وربط الخيرية بقيامها بواجب الدعوة إليه، فشرف الأمة من شرف الرسالة التي تحملها، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٣].

إن قيام الأمة بهذا الواجب هو سر بقائها، ومن بواعث نجاحها، ولن يقام هذا الواجب إلا بالوحدة بين شعوبها، والتآلف بين أفرادها، فالوحدة أشرف المهام التي يسعى إليها المصلحون، ومن أعظم الأهداف التي يضحى في سبيلها المخلصون، وذلك بإيجاد الوسائل والسبل التي توحد بين الجميع أمام القضايا الأساسية والمصيرية.

ومن التحديات الجسيمة التي واجهت الأمة الإسلامية في العصر الحديث تفرقها، وتشتت شملها، وتمزق صفوفها، وتقطع أوصالها الذى وصل إلى أقصى درجاته، بإلغاء الخلافة الإسلامية على يد كمال أتاتورك في تركيا ١٩٢٤م، وقد تم

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى (٢٤٤٦) عن أبى موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(٣) سورة آل عمران الآية (١١٠).

هذا بتخطيط استعماري صهيوني، لضرب الأمة الإسلامية في موطن القوة، وكسر شوكتها، وتمزيق وحدتها، فقد كانت الخلافة رمزا لوحدة المسلمين، وجمع كلمتهم، بالرغم مما كان يعتريها من ضعف أو وهن.

فلما سقطت الخلافة وقضى عليها، تناثرت حبات العقد، وصارت البلاد الإسلامية مجموعة من الدويلات الصغيرة، التي لا تجمعها كلمة، ولا يوحدها صف، وبدأ الصراع بينها ينشب لأتفه الأسباب.

لقد نسوا جميعا قول الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1].

ومن يومها وحتى الآن صارت الدول الإسلامية في مجملها كما كانوا قبل الإسلام، قبائل وعشائر متصارعة، ودولا وممالك متطاحنة، ولا تزال الأمة تعيش في تمزق، مقطعة الأطراف، منهوكة القوى، سليبة الإرادة، تعيش في ضعف ووهن، لأنهم متقاطعون فيما بينهم، ويتهم كل فريق الآخر في نواياه، وأصبح المسلمون بأسهم بينهم شديد.

وأحيانا يشعر من يدعو إلى الوحدة الإسلامية، أو يكتب عنها، أنه يدعو إلى شيء غريب، أو بعيد المنال، أو أنه من رابع المستحيلات، كأن الناس ألفوا هذا الواقع الأليم، ولا يبذلون جهدا ما لتغييره وإصلاحه.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٣).

بل إن بعضهم قد ينكر على المصلحين المناداة بالوحدة، حيث وصل إلى درجة من اليأس فولدت عنده الإحباط والقنوط، أو لأنه يرى أن تحقيق هذه الدعوة يحتاج إلى عشرات السنين، وإلى عمل شاق، وجهد متواصل، لكن حديث النبي ﷺ يبعث الأمل في نفوس المسلمين جميعا حيث يقول: **"إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي"**(١).

إن الفرقة التي تعيشها الأمة الآن، إنما هو أمر عارض، وهو أثر من آثار ضياع الخلافة الإسلامية، التي كانت ملئ السمع والبصر، وكانت تمتد امتداد أشعة الشمس، وضوء القمر، والتي كانت تضع العالم الإسلامي كله تحت قيادة واحدة، تجمع شمل المسلمين، وتقوى شوكتهم، وترفع رايتهم، وتدافع عنهم ضد أي خطر أجنبي يقترب منهم.

ولا أمل لعودة الأمة إلى ما كانت عليه من عز ووحدة وهيبة، إلا بتوحيد صفوفها، وجمع كلمتها، ولم شملها، والارتفاع بها فوق مستوى الخلافات الشخصية، والمصالح الدنيوية، لتكون الأمة يدا واحدة على من سواها.

ومن الجدير بالذكر أن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية أمر قديم حديث، يظهر على الساحة عندما تظهر الفرقة، ويكثر التمزق، وينتشر التناحر، وتبدو ملامح

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٦٣٠) وقال: حسن صحيح، عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه.

الطمع في السيطرة على المسلمين عقديا وجغرافيا، وحينما تريد الدول الكبرى الاستفادة من مصادر الطاقة مثل البترول والمعادن بأقل الأسعار والتكلفة، وكذا تحويل المسلمين إلى أسواق استهلاكية لبضائع غيرهم.

❁❁❁

أهمية هذا الموضوع:

١-ترجع أهمية موضوع الوحدة الإسلامية في هذه الفترة إلى كونها من القضايا الكبرى التي شغلت العالم الإسلامي فترة طويلة، ومن المفردات المتداولة على الساحة الإسلامية والعربية في اللقاءات والاجتماعات والمجالس والمنتديات، وإلى كثرة ما نقرأه في الجرائد والمجلات، وما نسمعه ونشاهده عبر الإذاعة والتلفاز، حول إعادة تقسيم المنطقة العربية من جديد، وتفتيت دولها، وتحويلها إلى دويلات صغيرة عرقية، مثل تقسيم العراق وسوريا ولبنان والسودان ومصر والجزائر والسعودية.

ولقد سعى الخصوم بجدية نحو هذا التقسيم وشرعوا في تنفيذه، مما يجعلنا نشعر بالخطر القادم، ويفرض علينا أهمية التصدي له، والوقوف أمامه، ولن يكون ذلك إلا بالإصرار على الوحدة الإسلامية، في مواجهة كل التحديات التي تسعى إلى التجزئة.

فالمسلمون في حاجة ماسة إلى توحيد الصفوف، وتنسيق الجهود، والتغلب على الخلافات، لمواجهة ما هو أشد وأعظم، فالدعوة إلى الوحدة دعوة إلى جمع

المتفرق، ولم الشعث، ورأب الصدع، وإصلاح ذات البين، فهي ضرورة لإقامة حياة إسلامية متكاملة.

٢-ومن أهمية هذا الموضوع أيضا هو كثرة تناوله في الخطب والمحاضرات والندوات والمؤتمرات، بين الخطباء والدعاة، وطرحه على الخواص والعوام، لدرجة تجعله من الثوابت في الخطاب الإسلامي، وهذا يجعل العمل من أجل الوحدة الإسلامية مطلبا جماهيريا تسعى إليه الأمة أفرادا وجماعات، وأحزابا ومؤسسات.

فالعمل من أجل الوحدة الإسلامية يعد من ألزم الضرورات، ومن آكد المهمات، ومن أشد الحاجات، وهو قطب الرحى، وطوق النجاة، حيث تكالبت قوى الأعداء، ورمت الأمة عن قوس واحدة، ولا سبيل للنجاة إلا بأن نعتصم بحبل الله جميعا، وعدم التفرق والتنازع، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[1].

٣-كما أن الوحدة الإسلامية تعد أمل كل مسلم في الشرق والغرب، وحلم كل مصلح اجتماعي، وأمنية كل داعية مخلص، لأنها الصخرة التي تتحطم عليها كل الهجمات التي تستهدف الإسلام والمسلمين عبر التاريخ قديما وحديثا.

---

(١) سورة الأنفال الآية (٤٦).

حيث إنها الآن أصبحت تطلعا تتوق إليه القلوب المؤمنة، وأمنية تسعى لتحقيقها الشعوب المسلمة، وأصبحت شعارا للدعاة والمصلحين في كل مجلس ومكان.

ومن أبرز الذين دعوا إلى الوحدة الإسلامية، السيد/ جمال الدين الأفغاني، حيث طاف الشرق والغرب، مجاهدا في سبيل تحقيق هذا الهدف العظيم، لكنه لم يجد آذانا صاغية، ولا قلوبا واعية، بل عودي وأوذى في سبيل فكرته، لكنه يحمد له حسن صنيعه في التنبيه والتذكير، بأهمية هذه القضية الكبرى، التي تساهم في حل الكثير من مشكلات المسلمين.

❁❁❁

والمشكلة التي يريد الباحث معالجتها من طرح هذا الموضوع، هي معرفة الأسباب التي تؤدى إلى الاختلاف والفرقة وغياب الوحدة بين المسلمين، في حياتهم العملية، خاصة في مواقف النوازل، والابتلاءات، والشدائد التي تنزل بالعالم الإسلامي.

فأين الوحدة الإسلامية من قضية بيت المقدس، وأرض فلسطين، والعراق، وأفغانستان، والصومال، والبوسنة والهرسك، والشيشان، وغيرها من بلاد الإسلام والمسلمين، التي تعرضت للغزو والاحتلال، والصراع الداخلي، والتجزئة والتفتيت.

أين الوحدة الإسلامية في مجال العدالة الاجتماعية، فهناك دول إسلامية غنية جدا، ودول فقيرة جدا، أين التكافل بين هذه الدول في مساعدة بعضها بعضا، خاصة أنهم في النهاية أمة مسلمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

أين الوحدة الإسلامية من النزاعات العنصرية، والقومية، التي تظهر على الساحة الإعلامية بين الحين والآخر، ليتعصب كل شعب إلى أرضه، وجنسيته، لا إلى الدين الذى يجمعهم، وهو المرجعية الأولى والأخيرة في كل شئون حياة المسلمين.

فالباحث يحاول أن يتلمس مظاهر غياب الوحدة، والآثار المترتبة على تلاشيها، من واقع حياة المسلمين، بقصد بيان خطورة القضية، وأهمية السعي الجاد والحثيث، لإعادة الوحدة من جديد، فيجب أن توضع هذه القضية على بساط البحث، وعلى رأس أولويات العمل الإسلامي، على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والحكومات.

ومن الجدير بالذكر أن الوحدة الإسلامية ليست حلما يصعب تحقيقه-رغم الواقع الأليم-وليست هدفا بعيد المنال، رغم كثرة العراقيل، بل هي حقيقة يستطيع أن يحققها المسلمون إذا تمسكوا بتعاليم القرآن والسنة، وجعلوا العدل والشورى أساس المجتمعات في الحكم والإدارة، وعادوا إلى الإسلام النقي

الصافي، وعملوا به دستورا للكون، ونظاما شاملا لكل مناحي الحياة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾[١].

لقد أصبح تغير حال المسلمين فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وكل مسلم يلقى الله ﷻ وهو لا يفكر في كيفية وحدة المسلمين ويعمل لذلك بكل ما أوتى من قوة وجهد، على قدر جهده واستطاعته، فهو مقصر، مهما حاول أن يختلق المعاذير ليبعد المسؤولية عن نفسه، والنبي ﷺ يقول: **"كلكم راع وكل مسئول عن رعيته"**[٢].

فكل عليه دور ومسئولية، الصغير والكبير، الشاب والفتاة، الرجل والمرأة، الرئيس والمرؤوس، الداعية والخطيب، الكاتب والأديب، العامل والطبيب، ويوم أن يقوم كل فرد بدوره على الوجه المطلوب نستشعر قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[٣].

❁❁❁

(١) سورة الإسراء الآية (٥١).

(٢) جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري (٢٧٥١) عن عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما-.

(٣) سورة الروم الآيتان (٤-٥).

المطلب الأول

معنى الوحدة في اللغة والاصطلاح.

معنى الوحدة في اللغة:

الوحدة: بوزن فعلة مصدر للفعل (وحد) جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (وحد) الواحد أول عدد الحساب... ورجل واحد: متقدم في بأس أو علم أو غير ذلك، كأنه لا مثيل له فهو وحده لذلك.

ونقل عن الجوهري قوله: الوحدة: الانفراد، يقال رأيته وحده، وجلس وحده: أي منفردا. وأوحده الناس: تركوه وحده منفردا بالذات في عدم المثل والنظير، وقيل: الواحد هو الذى لا يتجزأ ولا يثنى، ولا يقبل الانقسام[١].

وجاء في المعجم الوسيط: (وحده انفرد بنفسه، ووحد الشيء أي أفرده، وبقى مفردا، واتحد الشيئان والأشياء: صارت شيئا واحدا) [٢].وفيه أيضا: (الوحدة في النظام السياسي: اتحاد أمتين أو أكثر، في الرياسة والسياسة والجيش والاقتصاد، بموجبها يكونون أمة واحدة) [٣].

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (وحد) دار صادر، بيروت ط/الأولى.

(٢) المعجم الوسيط/ لمجمع اللغة العربية ١٠٢٧/٢– طبعة المكتبة العلمية طهران.

(٣) المعجم الوسيط ١٠٢٨/٢.

ومما سبق من المعاني اللغوية يتضح أن كلمة الوحدة تعنى: الشيء الواحد المترابط القوى، الذى لا يقبل التجزئة، أو التقسيم، ووحدة الأمة الإسلامية تكون كلها كأنها جسد واحد، لا يقبل الحياة السليمة، إلا إذا كان جسدا متكاملا.

والوحدة: تتضمن معنى القوة والبأس والتفرد، ومعنى الصمود والبقاء والاستمرارية، وهذه المعاني كلها من خصائص الأمة الإسلامية.

والوحدة في الاصطلاح تعنى: أن تكون الدول الإسلامية كلها تحت حكم إسلامي واحد، يقوى موقفها في الداخل والخارج، ويحقق التكافل فيما بينها، ويمنع التفرقة.

والمقصود بالوحدة أيضا: توحيد الموقف السياسي والفكري والعملي أمام التحديات الخارجية والداخلية.

ومن سمات الوحدة الإسلامية، أن الأمة الإسلامية كلها تكون خاضعة لقانون واحد، وتنظيم إداري واحد، وتتحدث بلغة واحدة، ولا مانع من اللغات المحلية، وتتداول بينها عملة واحدة، كما أن حواجز الحدود تكون شكلية لحفظ النظام الإداري فقط.

والوحدة الإسلامية لا تعنى أن تصبح الأمة كلها رجلا واحدا، وإنما أن تصبح الأمة كلها على قلب رجل واحد، في السراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والمغانم والمغارم.

❁❁❁

معنى فريضة وضرورة:

ومعنى كونها فريضة شرعية، أي أن العمل على عودتها واجب يتطلبه الشرع والدين، فهي أمر مفروض من الله ﷻ على الجميع، أفرادا وجماعات، يجب القيام به مثل باقي الفرائض، والتقصير في العمل من أجل الوحدة إثم يحاسب الإنسان عليه من الله ﷻ يوم القيامة.

ومعنى كونها ضرورة بشرية، أن واقع المسلمين يتطلب إقامتها والسعي إلى تحقيقها، من أجل أن تقوم الأمة بواجبها نحو البشرية كلها في تبليغ دعوة الإسلام، ونشر رسالته، ومن أجل الوقوف أمام الاحتلال الأجنبي الجديد، والتطلعات الاستعمارية من الدول الغربية، فالطريق الوحيد لمواجهة التحديات المعاصرة إنما هو الوحدة الإسلامية.

كما أن الوحدة الإسلامية أمر بدهي يأمر به العقل، وينادى به المنطق، ويحتاج إليها الكون والحياة، فهي تشكل الجهاز المناعي الداخلي الذى يعصم الأمة الإسلامية من الصراعات الداخلية، ويحفظها من الفتن النائمة، ويقضى على النعرات العرقية، والعصبية الجاهلية.

والوحدة الإسلامية بناء قائم، انهدمت بعض جدرانه، وتصدعت بعض أركانه، وتفتت بعض لبناته، فهو يحتاج إلى إصلاح وترميم، لا إلى إعادة بناء من جديد، وهذا يخفف من صعوبة الموضوع ويبعث الأمل في نفوس اليائسين إلى

عودتها بعد غياب طويل، وإعادة البناء والإصلاح يحتاج إلى عشرات السنين، ومثل ذلك في بناء الأمم لا يساوى شيئا.

إن وجود الوحدة من قبل قرون طويلة من الزمن، لهو أكبر دليل على إمكانية إعادتها من جديد، فكما حققها النبي ﷺ والصحابة والسلف الصالح، يمكن للخلف تحقيقها إذا ساروا على ما سار عليه السلف الصالح، وقد قيل: لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

❁❁❁

العلاقة بين الوحدة، والخلافة، والجماعة أو الأمة:

هناك علاقة قوية بين هذه المصطلحات الثلاثة، الوحدة الإسلامية، الخلافة الإسلامية، الجماعة أو الأمة، فالتعبير بها أو ببعضها ورد في القرآن والسنة، وأقوال الصحابة، وعلماء السلف الصالح، ومن ثم فاستخدام أي مصطلح من هذه المصطلحات هو بلا شك يدعو إلى هدف واحد في النهاية، هو وحدة المسلمين.

ففائدة الخلافة الإسلامية، أنها ترعى شئون المسلمين، وتحفظ وحدتهم، وتعلى كلمة الدين.

والجماعة: (هي العدد الكثير من الناس، والطائفة من الناس يجمعها غرض واحد) [١].

(١) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/١٣٦.

وكلمة الجماعة في تعاليم الإسلام لها عناية خاصة، ومكانة عالية، فهي بمثابة العروة الوثقى للإسلام، وهي تعنى الاجتماع على ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة، من الفهم الصحيح للقرآن والسنة، ويقابله أصحاب الفرق والأهواء، الذين خرجوا عن أصل من أصول الإسلام.

وتعنى الجماعة أيضا: الاجتماع على الحاكم الشرعي المبايع، أو المنتخب من المسلمين جميعا، ويقابل الجماعة هنا أهل البغي، والخارجين على الإمام، أو الحاكم الشرعي. وفي الحديث: (**يد الله مع الجماعة**) (١).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: (لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة) (٢).

وقال على بن أبى طالب: (اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون للناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي)(٣).

وهذه النصوص السابقة، تدل على أن الجماعة المسلمة أمر واجب في حياة المسلمين، لما لها من أثر فعال في الحفاظ على الإسلام، والدفاع عنه.

وأما كلمة الأمة فهي مصطلح قرآني، وهي تأتى بمعان كثيرة، وهي عبارة عن جماعة من الناس يرتبط أفرادها بروابط معينة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢١٦٦) وقال حسن غريب، عن عبد الله بن عباس-رضى الله عنهما-.

(٢) انظر سنن الدارمي ٧٩/١.

(٣) أخرجه الإمام البخاري (٣٧٠٧). عن على بن أبى طالب ﷺ.

أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾[٢].

فكلمة الوحدة والخلافة والأمة والجماعة كلها تصب في هدف واحد، وهو أهمية وجود رابطة واحدة تجمع المسلمين كلهم تحت نظام واحد.

❁❁❁

الفرق بين التحالف والوحدة:

إن التحالف يدعو إلى التجمع حول القواسم المشتركة في مواجهة خطر أو عدو، أو تحقيق مصلحة ما، فإذا ما زال الخطر، وانتهى العدو، أو تحققت المصلحة عاد كل شيء إلى سالفه، ورجع كل شيء إلى قديمة.

أما الوحدة الإسلامية فهي أمر تعبدي، لأنه تكليف إلهي لا اختيار للمرء فيه، يقوم على الاستمرار والبقاء، ويحقق كثيرا من واجبات الإسلام التي يتعذر على المسلم أن يقوم بمفرده بها، كما أنها تعد من ضروريات الدين، ومحكمات الشرع.

الفرق بين الوحدة الإسلامية، والوحدة القومية:

الوحدة الإسلامية تفتح الباب لكل مسلم أن ينطوي تحتها، مهما كان لونه، أو بلده، أو لغته، أو جنسيته، وهي وحدة أساسها القرآن الكريم، والسنة النبوية،

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٩).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٨١).

لذلك يأتي النداء فيها بقوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا)** فالعبرة بعموم الدعوة، لا بخصوص المكان.

أما الوحدة القومية فهم تضم العرب فقط، بعيدا عن الدين، فيدخل فيها غير المسلمين من العرب الذين يسكنون البلاد العربية، وتغلق الباب أمام غيرهم من المسلمين الناطقين بغير العربية في أسيا وأوربا.

مقارنة بين وحدة أمريكا وأوربا والدول الإسلامية:

الولايات المتحدة الأمريكية تتكون من خمسين ولاية، قارة كاملة، يحكمها حاكم واحد، ليس بينها حدود، أو حواجز مصطنعة، علمها واحد، وعملتها واحدة، سكانها مهاجرون من أكثر من مائة دولة، فيها حرية التدين بصورة مطلقة، فهي تضم ديانات كثيرة، وكل فصيل فيها يحتفظ بثقافته ولغته، فيها اختلاف في المواقيت بين شرقها وغربها يصل إلى ثلاث ساعات، يمكنك بتأشيرة واحدة أن تزور جميع الولايات في أمريكا، دون أن يوقفك أحد في الطريق ويسألك، من أين؟ وإلى أين؟ مادام دخولك قانونيا، وتحترم اللوائح والقوانين.

وتجربة أوربا الموحدة تبعث الأمل في نفوس المسلمين بعودة الوحدة الإسلامية، رغم الفارق الضخم بين دول أوربا ودول العالم الإسلامي، فدول أوربا تتكلم أكثر من عشرين لغة، ولها أديان ومذاهب شتى، ووقعت بينها حروب داخلية وعالمية راح ضحيتها الملايين، والعملة المتداولة بينهم مختلفة من دولة لأخرى، ومع هذه الصعوبات الضخمة، والتباين الكبير، استطاعوا أن

يتجاوزوا خلافاتهم وأن يصنعوا اتحادا موحدا يلغى الحدود، ويوحد العملة، ويقفوا صفا واحدا في القضايا المشتركة المصيرية التي تواجههم.

إن مجموع الدول الإسلامية في العالم الآن يزيد على خمسين دولة، يحكمها أكثر من خمسين حاكما، كل دولة لها استقلالها التام في الحكومة، والحدود، والعملة، والعلم، والشعار، والقانون، والسياسة، رغم وحدة الدين واللغة والتاريخ والثقافة. ومما يدعو إلى الأسى والحسرة عدم وجود مشروع جاد بين هذه الدول للتوحيد بينها في أهم الأمور، مثل الحدود والعملة، كما فعلت دول أوربا تحت شعار الاتحاد الأوربي.

إن سياسة الدول والأمم الغربية الآن هي التكتل والتحالف، والانضواء تحت تجمعات كبيرة متعاونة، فأين الأمة المسلمة من هذه السياسات؟.

إن مزايا مشروع الوحدة الإسلامية أنه يجعل من المسلمين تجمعا ضخما، وكتلة كبيرة، وقوة متحدة، تقف أمام القوى العالمية الكبرى في الشرق والغرب، وهذا أمر ممكن لو أخذنا بأسباب الوحدة ووسائلها.

والله تعالى يقول: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

❁❁❁

(١) سورة المؤمنون الآية (٥٢).

المطلب الثاني

دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الوحدة والتحذير من الفرقة.

أولا: الحث على الوحدة في القرآن الكريم:

الوحدة الإسلامية من صميم الدستور الإلهي الذى ينظم حركة الحياة في الأمة المسلمة، فالخطاب القرآني يخاطب الجماعة المسلمة كلها، والأمة المسلمة كلها-وليس الفرد المسلم على حده-بالأمر والنهي، لينسجم الفرد في إطار الجماعة، ويرتبط بمجموعها، فتقوى الأمة برباط أفرادها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1].

بل إن الله ﷻ يعلم المسلم وهو في صلاته أن يدعو ربه ويناجيه ويتجه إليه بلسان الجماعة لا بلسان المفرد، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾[2].

وفي خواتيم سورة البقرة جاء الدعاء بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ

---

(١) سورة الحج الآية (٧٧).

(٢) سورة الفاتحة الأيات (٥-٦).

أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[1].

وهذا دليل على أن المسلم لبنة في بناء كبير، لا يعيش وحده، ولا معزولا عن مجتمعه، وإنما المسلمون جميعا جسد واحد، وفي الحديث: **"المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مشدهم على مضعفهم، وقربهم على قاعدهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده"**[2].

إن قضية وحدة المسلمين وتجمعهم شغلت حيزا كبيرا في القرآن الكريم، والمتصفح لآيات القرآن الكريم يجدها تحث المسلمين وتدعوهم لأن يكونوا تحت راية واحدة، وقيادة موحدة، ومن ذلك قوله ﷻ في سورة آل عمران: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[3].

لقد أعطى الإسلام قانون الوحدة بهذه الآية، هذا القانون الذى يدعو إلى الاستمساك بمنهج الله والسير عليه، والتضحية في سبيله، وفي الحديث: **"إن الله**

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٨).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٢٧٥١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضى الله عنهما-.

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٣).

يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"(١).

ونقل الحافظ السيوطي في (الدر المنثور) في سبب نزول هذه الآية السابقة جملة آثار عن بعض الصحابة والتابعين، أكثرها تفصيلا: ما أخرجه ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم أبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال: (مرّ شاس بن قيس -وكان شيخا قد عسا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغنة على المسلمين، شديد الحسد لهم- على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذى كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال: قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد، والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأسر لفتى شاب معه من يهود فقال اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم يوم بعاث، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار.

وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على ركب أوس بن قيظى أحد بنى حارثة من الأوس، وجبار

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٧١٥) عن أبى هريرة ﷺ.

بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة! (أي كما كانت وقت نشوبها) والظاهرة الحرة-فخرجوا إليها، وانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال:

"يا معشر المسلمين الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ أبعد إذ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟" فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم لهم؟ فألقوا السلاح، وبكوا، وعانق الرجال بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس، وأنزل الله في شأن شاس بن قيس وما صنع:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[1]. وأنزل في أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا

(١) سورة آل عمران الآيات (٩٨-٩٩).

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ إلى قوله ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[1].

والآيات الكريمة في مجملها تدعونا إلى توحيد الكلمة، واجتماع الصف المسلم على الإسلام، وقد تضمنت ما يلي:

١. التحذير من دسائس غير المسلمين، ومن طاعتهم فيما يوقعون به بين المسلمين بعضهم بعضا، مما يسبب الارتداد على الأعقاب، والكفر بعد الإيمان.

٢. التعبير عن الاتحاد بالإيمان، وعن التفرقة بالكفر، فإن معنى ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ أي بعد وحدتكم وأخوتكم متفرقين متعادين.

٣. الاعتصام بحبل الله هو أساس الوحدة والتجمع بين المسلمين، وحبل الله هو الإسلام أو القرآن، الذى يلتف السلمون جميعا حوله.

٤. التذكير بنعمة الأخوة الإيمانية بعد عدوات الجاهلية، وهي من أعظم النعم بعد الإيمان: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[2].

لقد كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار التي مزجت بين الأوس والخزرج والمهاجرين، برابطة الدين والعقيدة، صورة من أعظم صور التآلف، والدعامة

---

(١) سورة آل عمران الآيات (١٠٠-١٠٥). انظر الدر المنثور في تفسير الآية. وانظر تفسير ابن كثير ٣٦٨/١.

(٢) سورة الأنفال الآية (٦٣).

القوية لصناعة مجتمع موحد غير منقسم ولا متفرق، يشهد له التاريخ بأنه المدينة الفاضلة التي أسسها وبناها خاتم الأنبياء ﷺ **(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)** (١).

فالصحابة الذين اعتنقوا الإسلام كان بعضهم من جنسيات مختلفة فمنهم العربي كأبي بكر، ومنهم الحبشي كبلال، ومنهم الفارسي كسليمان، ومنهم الرومي كصهيب، وكان فيهم الأحرار والعبيد، وفيهم الأقوياء والضعفاء، فدمج النبي ﷺ المسلمين بعضهم في بعض، حيث بنى بهم اللبنات التي قام عليها المجتمع، فصنعت مجتمعا متآلفا بالوحدة الإسلامية.

كما أن هناك علاقة قوية بين عالمية الإسلام والوحدة، فنصوص القرآن والسنة تؤكد العالمية، وعمل النبي ﷺ هو الجانب التطبيقي لتلك النصوص، وقد أرسل النبي ﷺ كتبه إلى الملوك والأمراء يدعوهم وقومهم إلى الإسلام، فإذا ما استجابوا، أصبحوا جزءا من المجتمع المسلم الكبير الموحد.

فكلمة الوحدة في بنائها اللغوي توأم لكلمة التوحيد، وأمة التوحيد هي أولى الأمم بوحدة الصف والبنيان، بعد وحدة الهدف والغاية، لقد قرن الله ﷻ وحدة الأمة بعقيدة التوحيد، حيث إن الانحراف في العقيدة يفضى إلى الانحراف في فهم وحدة الأمة والعمل لها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ

(١) سورة الحشر الآية (٨).

فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾[٢].

قال ابن عباس يقول: (دينكم دين واحد، أي هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم. وقال رسول الله ﷺ: **"نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد"** [٣]. يعني أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له، بشرائع متنوعة لرسله، كما قال تعالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾[٤].

فمن صح فهمه لعقيدة التوحيد الصافية، قاده هذا الفهم الصحيح إلى العمل الجاد، والسعي المستمر، إلى إيجاد الوحدة الإسلامية، فالعمل على إيجاد الوحدة الغائبة، إنما هو ثمرة فهم صحيح لعقيدة التوحيد الخالص التي يعتقدها المسلم.

يقول صاحب الظلال: (وتتلاشى آماد الزمان، وأبعاد المكان، أمام وحدة الحقيقة التي جاء بها الرسل، ووحدة الطبيعة التي تميزهم، ووحدة الخالق الذى أرسلهم، ووحدة الاتجاه الذى يتجهونه أجمعين) [٥].

كما أن تشريعات الدين في مجملها تدعو إلى وحدة الأمة، وتغرس ذلك في النفوس والمشاعر والأحاسيس.

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٩٢).

(٢) سورة المؤمنون الآية (٥٢).

(٣) الحديث ذكره أحمد شاكر في عمدة التفسير ٨٤٨/١.

(٤) انظر ابن كثير في تفسير الآية (٥٢) من سورة المؤمنون. جزء من الآية (٤٨). من سورة المائدة.

(٥) في ظلال القرآن أ/سيد قطب ٤/ ٢٤٦٩ /ط/ دار الشروق بيروت ط/ الرابعة والعشرون/ سنة١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.

ففي ميدان الحرب والقتال، جاء التعبير بكلمة الصف والبنيان المرصوص، وهذا يدل على الوحدة في الميدان، لمواجهة المخاطر التي تحيط بالمسلمين في الشدة والنوازل. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[1]. قال الإمام ابن كثير: (أي ملتصق بعضه ببعض في الصف والقتال، وقال قتادة: ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟ فكذلك الله ﷻ لا يحب أن يختلف أمره، وأن الله صف المؤمنين في قتالهم، وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به)[2]. فالصف الواحد القوى المتماسك، إنما هو ركيزة وحدة المجتمع، أمام الشدائد والصعاب، وهذا من أساسيات وحدة الأمة في بناءها الداخلي، في مواجهة الأخطار الخارجية.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[3].

قال ابن عباس: (أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله)[4].

---

(١) سورة الصف الآية (٤).

(٢) تفسير ابن كثير ٣٥٩/٤.

(٣) سورة الأنعام الآية (١٥٣).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٦٣٣/١ ط/ دار القرآن الكريم بيروت١٤٠٢هـ ١٩٨١م.

وفي الحديث: **"خط رسول الله خطا بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما، وخط عن يمينه وشماله، ثم قال هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾"**(١).

يقول صاحب الظلال: (إنه صراط واحد-صراط الله-وسبيل واحد تؤدى إلى الله، أن يفرد الناس الله ﷻ بالربوبية، ويدينوا له وحده بالعبودية، وأن يعلموا أن الحاكمية لله وحده، وأن يدينوا لهذه الحاكمية في حياتهم الواقعية) (٢).

فالصراط واحد، هو صراط الله المستقيم، وما عداه فطرق متشعبة لا تؤدى إلا إلى مزيد من التفرق والتشرذم، والوهن والضعف، ومن ثم فلا خيار لأحد غير صراط الله المستقيم. فالتحذير القرآني بعدم اتباع سبل الشيطان، لأنها تزيد الأمة تفرقا بعد وحده، وضعفا بعد قوة.

❁❁❁

ثانيا: الحث على الوحدة في السنة النبوية:

أما السنة النبوية فقد قررت وأكدت وفصلت ما جاء به القرآن الكريم من الدعوة إلى الاتحاد والائتلاف بين أفراد الأمة، والتحذير من التفرق والاختلاف، والأحاديث في هذا كثيرة ووفيرة.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد ١٩٩/٦. عن عبد الله بن مسعود-رضى الله عنه-.

(٢) في ظلال القرآن أ/سيد قطب ١٢٣٤/٣.

وفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن "**(١).

إن طريق الجنة إنما هو ملازمة جماعة المسلمين، وما هم عليه من الحق والصواب، والخروج عن الجماعة والبعد عنها، مدخل من مداخل الشيطان، الذى يؤدى الى الفرقة والهلاك.

وروى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **"إن الله لا يجمع أمتى-أو قال أمة محمد-على ضلاله، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار"**(٢).

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **"إن من فارق الجماعة شبرا فمات، فميتته جاهلية"**(٣).

فالحديث دعوة إلى ملازمة جماعة المسلمين، لأنها لا تجتمع على باطل وأن عون الله وتأييده معها، والخروج عن ذلك إنما هو طريق إلى الهلاك والنار.

قال حذيفة بن اليمان ﷺ: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (**نعم**). قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (**نعم، وفيه دخن**). قلت: وما دخنه؟ قال: (**قوم يهدون**

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذى (٢١٦٥) وقال هذا حديث حسن صحيح غريب. عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبى داود (٢١٦٥) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخارى (٧٠٥٤) عن عبد الله بن عباس ﷺ.

بغير هديي، تعرف منهم وتنكر). قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**). قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (**هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**). قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**). قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**) [1].

ويستفاد من الحديث، وجوب الاستقامة على الحق، والاعتصام بالقرآن والسنة، والالتزام بمنهج النبي ﷺ في العلم والعمل، ومنهج الخلفاء الراشدين، وسلف الأمة الصالح، رضوان الله عليهم. وفضل التمسك بالجماعة وملازمتها، ومتابعة ولزوم الإمام المسلم للأمة في غير معصية، مالم يصدر منه كفر بواح، عليه دليل وبرهان، والتحذير من الفرقة والبعد عنها، لما في ذلك من التهديد والوعيد الشديد.

وما الحكم إذا فسدت الجماعة؟ قال نعيم بن حماد-رحمه الله-: (إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت حينئذ وحدك) [2]. فالمهم حينئذ التمسك بالحق وتحرى الصواب، ولو كان العدد قليلا، فالعبرة ليست بالعدد، قدر ما تكون الأهمية للحق والصواب.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٠٨٤) عن حذيفة بن اليمان ﷺ.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم ١/٧٠.

هذا وقد أوضحت السنة النبوية وجوب الأخوة والوحدة بين المسلمين في مواقف كثيره وأساليب شتى: منها:-

١-قوله ﷺ: **"المسلم أخو المسلم ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته"**(١).

٢-وقوله ﷺ: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"**(٢).

٣-وقوله ﷺ: **"والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"**(٣).

٤-وقوله ﷺ: **"المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم"**(٤).

فهذه الأحاديث السابقة تبين بوضوح وجلاء أن رابطة الوحدة والأخوة بين المسلمين أمر واجب، وأنها من كمال الإيمان وتمامه، وأنها سبب لدخول الجنة، وأنها مظهر للقوة والتكافل بين أفراد المجتمع الواحد.

لقد رغب الإسلام في الأداء الجماعي للعبادة، لأنها أعظم ثوابا، وأكثر رحمة وبركة من الله ﷻ حتى إن الله ﷻ جعل ثواب صلاة الجماعة أفضل من صلاة

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى (٢٤٤٢) عن عبد الله بن عمر-رضى الله عنهما-.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٥).عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥١٩٣). عن أبى هريرة ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود (٢٧٥١). عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضى الله عنهما-.

المنفرد بسبع وعشرين درجة، وذلك لتعظيم قيمة الجماعة وقدرها في تعاليم الإسلام.

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: **"صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، بضعا وعشرين درجة"**(١). وقال أيضا: **"ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية"** (٢).

وليست في العبادة فقط، بل في الآداب الاجتماعية أيضا، حيث يأتي التأكيد على الجماعية، ففي مجال الطعام والشراب، لما في ذلك من الخير والبركة وفي الحديث: "قالوا يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال تجتمعون على طعامكم أو تفترقون؟ قالوا نتفرق، قال اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله ﷻ يبارك لكم فيه"(٣).

ومن دعوة السنة النبوية إلى الوحدة، أن النبي ﷺ بين في أحاديث كثيرة، أنه إذا كان هناك ثلاثة نفر في سفر، قريب أو بعيد، فليختاروا واحدا منهم أميرا عليهم، يأتمرون بأمرة، و ينتهون بنهيه، حتى لا يدخل الشيطان بينهم، فما بالك بالعدد

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٤٩) عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥٤٧) عن أبى الدرداء ﷺ.

(٣) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١٦٤/٣ [إسناده صحيح أو حسن] عن وحشي بن حرب ﷺ.

الكبير، وجماعة المسلمين، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: **"إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"**(١).

وهناك وثيقة تاريخية رائعة نص فيها النبي ﷺ بعد الهجرة ووصوله إلى المدينة على وحدة الأمة الإسلامية فيما بينها، وحق المعايشة لغيرهم من المخالفين في العقيدة، فيقول: (هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم:

(١) أنهم أمة واحدة من دون الناس.

(٢) المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وكل قبيلة من الأنصار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(٣) وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

(٤) وأن المؤمنين المتيقن على من بغى عليهم، أو ابتغى دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين.

(٥) وأن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.

(٦) ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر.

(٧) ولا ينصر كافرا على مؤمن.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٢٦٠٩) عن أبى هريرة ﷺ.

(٨) وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم.

(٩) وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

(١٠) وأن سلم المؤمنين واحدة-لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

(١١) وأن المؤمنين يبيؤ بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

(١٢) وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن.

(١٣) وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به، إلا أن يرضى ولى المقتول.

(١٤) وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا القيام عليه.

(١٥) وأنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

(١٦) وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله ﷻ وإلى محمد ﷺ)[1].

وتعدد الصحيفة سائر قبائل اليهود في نفس السياق ثم تضيف: (وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم، وأنفسهم، إلا من ظلم، أو أثم،... وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح

(١) الرحيق المختوم للشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري صـ٢٠٨، ٢٠٩ ط/ رابطة العالم الإسلامي ط/ الخامسة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفة، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة..) (١).

وفي خطبة الوداع ركز النبي على الوحدة والمساواة في أصل النشأة فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: "يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فليبلغ الشاهد الغائب" ثم ذكر الحديث في تحريم الدماء والأموال والأعراض (٢).

فالحديث يبين أن الناس سواسية كأسنان المشط عند الله ﷻ ومعيار التفاضل التقوى، والعمل الصالح، وأما ما سوى ذلك من لون أو جنس أو لسان فلا قيمة له، ولا وزن له عند الله ﷻ.

وروى الحافظ ابن عساكر قال: جاء قيس بن مطاطية، إلى حلقة فيها سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، فقال هؤلاء الأوس والخزرج، قاموا بنصرة هذا الرجل، فما بال هؤلاء؟ قال فقام معاذ فأخذ بتلبيبه حتى أتى به النبي

(١) السيرة النبوية لابن هشام/ جـ ٢صـ١١٩.

(٢) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٩/٣ وقال رجاله رجال الصحيح. عن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ.

ﷺ فأخبره بمقالته، فقام رسول الله ﷺ مغضبا يجر رداءه حتى دخل المسجد، ثم نودي الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إن الرب رب واحد، وإن الأب أب واحد، وإن الدين دين واحد، ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم، إنما هي لسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي، فقال معاذ وهو آخذ بتلبيبه يا رسول الله ما تقول في هذا المنافق؟ فقال دعه إلى النار. قال فكان فيمن ارتد فقتل في الردة) (١).

لقد أغلق النبي ﷺ الباب أمام كل إنسان يريد أن يفرق المسلمين، ناظرا إلى أي صورة من صور القومية، حيث لا ميزان لها في الإسلام، ولا قيمة لها في معيار التفاضل، فقد سبق بلال الحبشي أبا جهل القرشي، وسبق سلمان الفارسي أبا لهب الهاشمي.

فرسالة الإسلام أخذت الصفة العربية رغم أنها ليست مقصورة على العرب، وذلك لأن رسولها عربي، وكتابها عربي، ونزلت في منطقة العرب، والله يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ (٢).

---

(١) الحديث ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢٥/٢٤ حديث مرسل غريب، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ﷺ.

(٢) سورة إبراهيم الآية (٤).

وبالرغم من ذلك كله فهي رسالة عامة وشاملة للبشرية كلها، لا تقف عند ساحة اللغة العربية، والله ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يبلغ الناس جميعا الرسالة فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1].

❁❁❁

ثالثا تحذير القرآن الكريم من الفرقة:

إن الفرقة لا تأتى بخير قط، بل هي نذير شؤم وخراب، ولقد أورثت التجزئة والتفكك والانقسام حالة من الضعف الشديد التي جعلت الأمة تفقد عزتها، وتذهب قوتها، وتجعل بأسها بينها شديدا، خاصةً عندما تشتعل الحروب القبلية، وتشب بينها الصراعات الداخلية.

وقد توعد الله ﷻ من يشق عصى الطاعات، وينفصل عن الجماعة، ويتبع غير سبيل المؤمنين بالعذاب يوم القيامة فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[2].

ولقد نعى الله ﷻ على أهل الكتاب تفرقهم في صفوفهم، واختلافهم في كلمتهم، وتغاير قلوبهم، فبعد الدعوة إلى الاعتصام بحبل الله

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٨).

(٢) سورة النساء الآية (١١٥).

ﷻجاء التحذير من الفرقة مرة أخرى قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير: (ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين، في افتراقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع قيام الحجة عليهم) [2].

ولخطورة الاختلاف والتفرق، عده الإسلام خروجا عن الدين وانفصالا عنه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[3].

جاء في تفسير ابن كثير عن ابن عباس: (أن هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى، الذين تفرقوا واختلفوا في دينهم، وقيل: إنها نزلت في أهل البدع والشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة.

وقال ابن كثير: والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد، لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه-وكانوا شيعا-أي فرقا كأهل الملل والنحل، والأهواء والضلالات، فإن الله ﷻ قد برأ رسول الله ﷺ مما هم فيه،

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٥).

(٢) تفسير ابن كثير ٣٦٨/١.

(٣) سورة الأنعام الآية (١٥٩).

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾(١).

وقال تعالى آمرا الأمة، بالإنابة والتقوى والصلاة، ومحذرا الأمة المسلمة من مسالك الفرقة التي سلكها المشركون من قبل:﴿ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢ ﴾(٢). (أي لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم، أي بدلوه وغيروه، وآمنوا ببعض وكفروا ببعض؛ كاليهود والنصارى والمجوس وعبد الأوثان وسائر أهل الأديان الباطلة، مما عدا أهل الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ ﴾ (٣).

فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل، كلها ضلالة إلاّ واحدة، وهم أهل السنّة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه) (٤).

---

(١) سورة الشورى الآية (١٣). وانظر تفسير ابن كثير ١٨٧/٢.

(٢) سورة الروم الآيتان (٣١-٣٢).

(٣) سورة الأنعام الآية (١٥٩).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٥٥/٣.

لقد ذكر الله ﷻ لنا في القرآن الكريم، الحوار الذى دار بين موسى وأخيه هارون، حينما عبد بعض بنى إسرائيل العجل، ولم ينكر عليهم هارون حتى يعود موسى عليه السلام من مناجاته لربه، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾[1].

لقد ضل بنو إسرائيل الطريق، حينما عبد بعضهم العجل من دون الله، وصبر عليهم هارون عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله، خشية الفرقة، لقد خاف هارون أن ينقسموا إلى حزبين، يقتل بعضهم بعضا، فيهلكوا جميعا، وكان هذا اجتهاد منه لحرصه على بقائهم جماعة واحدة، إلى أن يعود موسى عليه السلام ليصلح ما أفسدوه، وما وقعوا فيه من كفر وشرك.

وقال الله ﷻ معلما الأمة المسلمة حسم الخلاف عند ما يشب بينهم نزاع أو يقع بينهم خلاف: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[3].

فيوضح الله ﷻ للأمة المسلمة، التصرف الصحيح عند وقوع الخلاف أو التنازع، بالعودة السريعة إلى تحكيم القرآن والسنة، من أجل حسم الخلاف، ولم

---

(١) سورة طه الآيات (٩٢-٩٤).

(٢) سورة الشورى الآية (١٠).

(٣) سورة النساء الآية (٥٩).

الشمل، وتوحيد الصف، قبل أن يتسع الخلل، وتعظم المشكلة، وتكثر الآثار المترتبة على التفرق والانقسام.

ولقد حذر القرآن الكريم مرات عديدة من الاختلاف الذى يؤدى إلى التمزق والضياع، وجاء هذا التحذير بعد التأكيد على وحدة الأمة، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

ويعلق صاحب الظلال على هذه الآية فيقول: (لقد مضى- الرسل -صلوات الله عليهم- أمة واحدة، ذات كلمة واحدة وعبادة واحدة، ووجهة واحدة، فإذا الناس من بعدهم أحزاب متنازعة لا تلتقى على منهج ولا طريق... لقد تنازعوا الأمر حتى مزقوه بينهم مزقا، وقطعوه في أيديهم قطعا، ثم مضى كل حزب بالمزقة التي خرجت في يده، مضى- فرحا لا يفكر في شيء، ولا يلتفت إلى شيء، أمضى- وأغلق على حسه جميع المنافذ حتى تأتيه فيها آية نسمة طليقة، أو يدخل إليه منها أي شعاع مضيء، وعاش الجميع في هذه الغمرة مذهولين مشغولين بما هم فيه مغمورين، لا تنفذ إليهم نسمة محيية، ولا شعاع منير) [2].

فدائما طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ تدعوا إلى وحدة القيادة والالتفاف حولها وعدم الخروج عليها، ومن فعل غير ذلك فقد شق عصى الطاعة وتسبب في فرقة

---

(١) سورة المؤمنون الآية (٥٢-٥٣).

(٢) في ظلال القرآن أ/سيد قطب ٤/ ٢٤٧١، ٢٤٧٢.

الأمة وضعفها، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (١).

يقول صاحب الظلال: (فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذى يوجه الآراء والأفكار.. فليس الذى يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذى يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها، إنما هو وضع الذات في كفة، والحق في كفة، وترجيح الذات على الحق ابتداء) (٢).

فالتنازع طريق الفشل والخسران، وطريق الضعف والانهيار وطريق الأهواء والشيطان، والله ﷻ يقول: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣).

❁❁❁

رابعا: تحذير السنة النبوية من الفرقة:

الإسلام لا يعرف الفرقة ولا التفرقة، ولا يعرف الفروق الشكلية، التي تقف عند اللون والجنس والعنصر. فالفرقة تؤدى إلى تشتيت القدرات، وضياع الطاقات، وإهدار الأوقات، وحيرة عوام المسلمين، وفي خطبة الوداع قال ﷺ: **"أيها الناس إنما المؤمنون أخوة، لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب**

(١) سورة الأنفال الآية (٤٦).
(٢) في ظلال القرآن أ/سيد قطب ١٥٢٨/٣، ١٥٢٩.
(٣) سورة يونس الآية (٣٢).

بعض"[١]. فالمسلمون إذا لم يجمعهم الحق شعبهم الباطل، ولقد رأى النبي ﷺ في سفره أن القافلة حين تستريح كان الناس يتفرقون بين الشعاب كأنه ليس بينهم صلة ولا رباط، فكره هذا المشهد ودعاهم إلى التجمع والوحدة.

فقد روى أبو داود عن أبى ثعلبة ﷺ قال: "كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب والأودية فقال النبي ﷺ: **إن تفرقكم هذا من الشيطان، فلم ينزلوا بعد إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم"**[٢].

وروى الإمام مالك عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: **"الشيطان يهم بالواحد وبالاثنين، فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم"**[٣].

فهذا التحذير يبين خطورة الفردية والانعزال، وأنها من مداخل الشيطان، حيث يكون التأثير أشد، والفرصة أكبر، والخطر أقرب، فلا بد أن يتحصن الفرد بالجماعة، ليسد المنافذ، ويغلق الطريق، ويضيع الفرصة على الشيطان الرجيم.

وفي تحذير النبي ﷺ للأمة من بعده بعدم الافتراق، الذى يحول الناس إلى جماعات، يفارق بعضها بعضا، ويكفر بعضها بعضا، مثلما فعل اليهود والنصارى من قبل، قال رسول الله ﷺ: **"افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على**

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٢١) عن جرير بن عبد الله ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٢٦٨٦) عن أبى ثعلبة الخشني ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مالك (١٥٤٩). عن أبى هريرة ﷺ.

ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله من هم؟ قال الجماعة"[1].

والفرق المخالفة للحق، تكون المخالفة في الأصول والعقائد، وكليات الدين، وقواعد الشريعة، وأما الخلاف في الفرعيات، فهو أمر مقبول، يتماشى مع طبيعة هذا الدين، وهو لا يحول الأمة إلى شيع متفرقة، أو إلى طوائف متناحرة.

وافتراق الأمة إلى هذا العدد قد لا يكون على سبيل الإحصاء والعد، وإنما على سبيل الكثرة، وغالبا ما يستخدم لفظ السبعين للتكثير، وقد لعب عبد الله بن سبأ دورا خطيرا في بث بذور الفرقة بين المسلمين، حيث قام بإثارة الناس على سيدنا عثمان ﷺ بذكر محاسن الإمام على ﷺ فنمت هذه البذور بماء الفتنة، التي ترتب عليها مقتل سيدنا عثمان ﷺ.

ومن ذلك الوقت ظهرت بدايات الفرق الإسلامية، مثل الشيعة والخوارج والمرجئة، وتعد الشيعة من أقدم الفرق الإسلامية التي ظهرت على الساحة أثناء معركة صفين، حينما قبل سيدنا على التحكيم، وانتشر الفكر الشيعي مع كثرة النوازل التي لحقت بالعلويين في العصر الأموي، كما أن الشيعة ليسوا على درجة واحدة فمنهم المعتدل، ومنهم المتغالي الذى يكفر الصحابة ويسب أمهات المؤمنين، وقد تفرقت الشيعة داخليا إلى طوائف كثيرة.

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة (٣٢٤١) عن عوف بن مالك ﷺ.

وكما حذر رسول الله ﷺ المسلمين من الفرقة دعاهم إلى نبذ أسبابها، ونهاهم عن مقدماتها. فقال: **"إياكم والظن فإنه أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا"**(١).

ومن ذلك أيضا قوله ﷺ: **"ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟"** قالوا بلى يا رسول الله، قال: **"إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة"**. وفي رواية أنه قال: **"هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين"**(٢).

ومن أخطر الأحاديث وأشدها ترهيبا من الفرقة بين المسلمين، وتحذيرا من الخصام والإصرار عليه قوله ﷺ فيما رواه ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **"ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا، رجل أمَّ قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان"** أي متقاطعان(٣).

ومن الأحكام الصارمة التي جاءت في السنة النبوية وشددت عليها فيما يتعلق بالخروج على جماعة المسلمين حديث النبي ﷺ أنه قال: **"من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية حمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي**

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى (٦٧٢٤). عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٩١٩) عن أبى الدرداء ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة (٩٦١). عن ابن عباس-رضى الله عنهما-.

يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه"(١).

وقطع النبي ﷺ الطريق وأغلقه أمام كل فرد تسول له نفسه، أن يسعى لتفريق جماعة المسلمين، وأن يبث جذور الفتنة والتفرقة بينهم، فقال ﷺ: **"من أتاكم، وأمركم جميع، على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه"**(٢).

ومن رأى من الحاكم شدة في غير معصية فعليه بالصبر، ولا يشق عصا الطاعة، قال ﷺ: **"من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية"** (٣).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: **"من بايع إماما، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي. قلت: -أي عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة- هذا ابن عمك معاوية، يأمرنا أن نفعل ونفعل، قال: أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله"**(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٨٤٨). عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٨٥٢). عن عرفجة بن أسعد ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٠٥٣). عن عبد الله بن عباس -رضى الله عنهما-.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٢٤٨). عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما.

وعن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: **"ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية"**(١).

فهذه جملة من أحاديث كثيرة، تبين في وضوح وجلاء التحذير من الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم، أو الدعوة إلى التعصب لنعرة من نعرات الجاهلية، ومن فعل ذلك فهو على خطر عظيم، حيث رهب النبي ﷺ من نهايته، أنها تكون على غير الإسلام، وأنه يتبرأ منه، ويا بئس ذلك من نهاية، وما أسوأها من عاقبة.

والسؤال هل يعد نهي النبي ﷺ عن العصبية لون من عدم التعلق بحب الوطن؟ لا، بل إن النبي ﷺ دعا إلى محبة الوطن والعشيرة في أحاديث كثيرة، إنما المنهي عنه التعصب في المحبة التي تؤدى إلى الفرقة والانقسام.

ومن الأحكام الفقهية المهمة التي تؤكد الوحدة وتصر عليها، وتقف أمام التجزئة والتفرقة، هو عدم تعدد الخليفة أو الإمام في وقت واحد، وفي صحيح مسلم قال ﷺ: **"إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما"**(٢).

فالدعوة إلى إمامين في وقت واحد تتنافى مع طبيعة رسالة الإسلام، التي تدعو إلى الوحدة دائما، وعدم الفرقة مهما كانت الأسباب.

وجاء في شرح صحيح مسلم للنووي: (أنه لا يجوز عقد البيعة لخليفتين في زمن واحد، وإلا لما جاز قتل الآخر منهما، قال الشارع: واتفق العلماء على أنه لا

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥١٢١). إسناده ضعيف لكنه صحيح بمعناه، عن جبير بن مطعم ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٨٥٣). عن أبى سعيد الخدري ﷺ.

يجوز عقدها لخليفتين في عصر واحد، سواء اتسعت دار الإسلام أم لا؟ وقال إمام الحرمين: وعندي أنه لا يجوز عقدها لاثنين في صقع واحد، وهذا مجمع عليه، فإن ما بين الإمامين فللاحتمال فيه مجال، وهو قول فاسد مخالف لما عليه السلف والخلف والظاهر إطلاق الحديث) (١).

وسئل الامام مالك بن أنس ﷺ في بداية العصر العباسي عن الخروج على هذه الدولة ومقاتلة حاكمها، فقال قولته الشهير: (إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز فقاتلهم، وإلا فدعهم أن ينتقم الله من الظالم بظالم، ثم ينتقم من كليهما) (٢).

ووحدة الصف تعنى وحدة الأمة كلها تحت خليفة واحد، يحكمها بشريعة الله، له حق السمع والطاعة حتى تستقيم الأمور، ولهم حق النصح والتقويم في ضوء الآداب الإسلامية الرشيدة، ومن شذ عن هذا فهو على خطر عظيم، حيث تكون نهايته سيئة، وحجته ضعيفة، وعمله مردود عليه،

وجاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع، حين كان من أمر الحرة ما كان، زمن يزيد بن معاوية. فقال: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله ﷺ يقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة، لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية"**(٣).

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ٦/٢٣.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبى زهرة صـ ٤١٤.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٨٥١) عن نافع مولى ابن عمر ﷺ.

ومما سبق يتبين بوضوح وجلاء، أن السنة حذرت تحذيرا شديدا من الفرقة والتشرذم، لأنه طريق إلى ضعف الأمة ووهنها، ومدخل من مداخل الشيطان، وباب ينفذ منه الأعداء، وفتنة تجعل الحليم حيرانا، كما أن الحكم الشرعي، يحرم أن يكون للمسلمين أكثر من خليفة في وقت واحد، وإذا وقع ذلك يجب على الأمة خلع الأخير، حتى لو اضطروا لمقاتلته، حرصا على وحدة الأمة في جسدها ورأسها.

❁❁❁

المطلب الثالث

أهم الأسباب التي تدعوا إلى الفرقة والاختلاف.

لا شك أن تشخيص المرض تشخيصا دقيقا، ومعرفة موضع العلة والداء، وسبب هذا المرض، من أهم الاسباب الرئيسية التي يجب معرفتها، قبل التوجه إلى العلاج، أو تقديم الحلول المناسبة، ومن أهم الأسباب الرئيسة التي تؤدى إلى الفرقة والاختلاف ما يأتي.

١-اتباع الأهواء:

إن سر الفرقة الواسعة التي تعانى منها الأمة على جميع المستويات هو اتباع الأهواء، وعدم متابعة الشرع، خاصة حينما يقل العلم، ويضعف الفقه، ويغيب الإخلاص لله، ويستحكم العناد، ويكثر الجدل والخصام، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ﴾[1]. ثم يقول الله ﷻ في الآية التي تليها ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ ﴾[2]. وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ

(١) سورة الشورى الآية (١٣).

(٢) سورة الشورى الآية (١٤).

بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ ﴾[1].

إن الضغائن والشقاق والأهواء، تمزق الدين الواحد مزقتين، وتتشعب الأمة الواحدة شعبتين، كلاهما يتربص بالآخر ريب المنون، لذلك حذر الله ﷻ من التفرق والشقاق فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2].

فحذر النبي ﷺ الأمة من بعده بعدم اتباع أهواء النفس، أو أهواء الآخرين، لأنها تعمى الإنسان عن رؤية الحق والصواب.

ومن تتبع تاريخ الفرق والأحزاب والجماعات عبر التاريخ، فلا شك أنه سيجد أن من بين أسباب ظهورها الاختلاف حول نقطة ما، ثم الانشقاق إلى شعبتين مؤثرا اتباع الهوى الشخصي، وعدم تنازل أحد الطرفين عن رأيه الخاص، ويصر كلاهما على أنه هو الصواب، والآخر على خطأ، ومن ثم تتعدد الفرق والجماعات، وتضيع طاقات الأمة وراء هذا التعدد المبنى على اتباع الأهواء.

وكم هناك من فارق كبير بين موقف سيدنا معاوية مع الإمام على رضوان الله عليهما، وموقف الحسن بن على مع معاوية بن أبى سفيان-رضى الله عنهما-في التنازل عن الحكم طواعية لجمع كلمة المسلمين، وتوحيد رايتهم تحت خليفة

(١) سورة البقرة الآية (٢١٣).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٥).

واحد، حتى عرف بعام الجماعة بعد قتال وخلاف استمر فترة طويلة من الزمن بين سيدنا على ومعاوية رضى الله عنهما.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1]. فاتباع الأهواء يصد الإنسان عن طريق الحق، ويصر على المعاندة والمكابرة، ويجعله يمضى في طريق هواه، ولا يبالى بأثار هذا الطريق وأضراره، طالما أنه يشبع رغبة داخلية لديه، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

❁❁❁

٢-حب الدنيا والأثرة العمياء:

إن حياة الترف والنعيم التي كان يعيش فيها بعض الولاة والأمراء والحكام من مظاهر الترف، ونعومة العيش، وطيب المطعم، ولين المضجع، والخلود إلى الأرض، أورثتهم هذه الحياة الضعف والوهن، وحب الدنيا وكراهية الموت، مما أضاع البلاد، وخلف الاحتلال، بل سقطت دول إسلامية كبرى مثل الأندلس، ولم تعد إلى الآن، ولا يعلم أحد متى تعود أو ترجع، والسبب الرئيس في ذلك إنما هو التقاتل على الدنيا، خاصة في عصر ملوك الطوائف.

---

(١) سورة الجاثية الآية (١٨).

(٢) سورة الجاثية الآية (٢٣).

وفي سنن أبى داود قال ﷺ: **"يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"**(١).

لقد كان السبب الرئيس وراء سقوط دولة الاندلس، إنما هو انغماس الناس في الترف والنعيم، وتعلقوا بسفاسف الأمور، وتركوا معاليها، وحرص القادة على الحكم أكثر من حرصهم على إقامة الدين وأركانه، وظهر بينهم من يستعين بغير المسلمين ليوطد أركان ملكه، حتى وصلوا إلى أقصى درجات الضعف والوهن، فطمع فيهم الأعداء، وضاعت الأندلس بعد ثمانية قرون من الإسلام، لقد وقف آخر ملوك الأندلس من المسلمين وهو يودعها باكيا، فقالت له أمه: (ابك كالنساء على ملك مضاع لم تحافظ عليه كالرجال).

فحب الدنيا رأس كل خطيئة، وبداية كل خلاف، وسبب كل هزيمة، ولقد سجل لنا القرآن الكريم ما وقع بين الصحابة الكرام عقب غزوة بدر، ليحذرنا من تكراره وذلك حين تطلعت نفوس بعض المسلمين في بدر إلى الغنائم نزل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾(٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٢٩٧). عن ثوبان ﷺ.

(٢) سورة الأنفال الآية (١).

فنزل العتاب الإلهي ليرد الصحابة توزيع الغنائم إلى الله ﷻ وينشغلوا بإصلاح ذات البين، ويعلموا أن الوحدة والاتحاد وطلب الآخرة هما طريق النصر المبين، وأن الفرقة وطلب الدنيا هما سبب الهزيمة النكراء.

ومن ثم حذرهم الله ﷻ من التقاتل من أجل الدنيا، والتصارع على حطامها الفاني، والحرص على غثائها الضعيف فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[1].

ولقد تلقى المسلمون في غزوة أحد درسا قاسيا، وضربة مؤلمة، جعلتهم يفقدون سبعين من خيرة الصحابة، ويذوقون مر الهزيمة، وشماتة الأعداء، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ﴾ (٢)

فبين الله ﷻ أن سبب الهزيمة والفشل إنما مرده إلى الحرص على الدنيا والغنائم، ومخالفة أمر النبي ﷺ فكان الجزاء من جنس العمل، لما حرصوا على الدنيا وخالفوا الأمر خالف الله معهم الوعد بالنصر، ليتعلم المسلمون درسا بليغا أن المقصد من الحرب هو أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن غاية المسلم هي مرضاة الله والدار الآخرة، وليس للدنيا من حظ أو نصيب في نية

(١) سورة الأنفال الآية (٤٧).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٥٢).

المسلمين الصادقين قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[1].

❁❁❁

٣-النظرات التي تدعو إلى القومية:

إن ظاهرة التعصب القومي والعنصري ليست من الإسلام في شيء، بل هي أمر وافد من المجتمعات الجاهلية القائمة على القبائل والعصابات، فهي تجعل من اللغة، أو اللون، أو النسب، أو الجنس، أو الأرض معيار التمييز والتفضيل بين أبناء البشر، وهي أمور خارجة عن إرادة الإنسان، لا دخل له فيها من قريب أو بعيد.

وقد رأينا من يدعو إلى إحياء الحضارات القديمة، واللغات القديمة في المجتمعات المسلمة، قاصدا بذلك التعصب لها على حساب الدين.

فلقد كانت الطائفية والشعوبية سببا رئيسيا من أسباب الفتن والثورات المتوالية، التي أدت إلى خروج بعض البلاد الإسلامية عن أمر الخليفة، فقامت عدة دول مسلمة عبر التاريخ، لا تخضع لسلطان الخليفة في أمره ونهيه.

---

(١) سورة الإسراء الآيتان (١٨-١٩).

والجاهلية الحديثة أعادت من جديد التعصب للقبائل والعصابات بأسلوب جديد، ومسميات جديدة، فخلفت الفرقة والتمزق وروح العداء، بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة.

إن الفرقة تجعل الأمة تفقد قوتها، وتذهب هيبتها، وتضيع عزتها، وتزول كرامتها، وتصبح كالأيتام على موائد اللئام، فلا بد أن ينتبه العقلاء في هذه الأمة إلى خطورة النعرات التي تظهر على الساحة بين الحين والحين، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ظاهرها السعي إلى التجمع وحقيقتها تؤدى إلى التمزق، ينخدع فيها كثير من العوام والبسطاء، وبعض الخواص، وهنا يأتي دور التوعية المستمرة من مثل هذه الدعوات، حتى يقوى جهاز المناعة لدى جميع المسلمين، فيكون عاصما لهم من الفتن والخلافات في كل وقت وحين.

إن واقع التجزئة المرير الذى تحيا فيه الأمة ظاهرة مرضية على خلاف الأصل الطبيعي لها، وربما كان هذا من أهم الدوافع القوية للتطلع إلى آفاق الوحدة عند الشعوب المسلمة، فحينما تشتد آلام المريض يضطر إلى السعي الحثيث للبحث عن الدواء بسرعة، فيتحمل مرارة الدواء في سبيل تخفيف **آلامه**، ثم بعد ذلك يتمتع بالصحة والعافية.

❁❁❁

٤-الصراع على الحكم:

لقد واجه الصديق أبو بكر ﷺ المرتدين الذين قاموا على العصبية، حقدا على قريش بقوة وحسم، لأنه حريص على وحدة المسلمين فيما بينهم، فلا يتفرقون في ديارهم، وهم حديثو عهد بالنبوة، فلولا عزيمته القوية، وقراره الحاسم، وجهاد الصادقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ما كانت هذه النتيجة التي وصل إليها الصديق، وهم في صدر الإسلام، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾[1].

ولما وقعت الفتنة في عصر ثالث الراشدين سيدنا عثمان ﷺ وخرجوا على الخليفة وقتلوه، ليوجدوا ثغرة في الصف المسلم، كانت وحدة المسلمين قائمة على ما كانت عليه في عهد الشيخين أبى بكر وعمر، فخرج المسلمون من هذه الفتنة والدولة الإسلامية واحدة تحت خليفة واحد.

لقد ظهرت نواة الفرقة، حينما شب الخلاف بين سيدنا على ﷺ الخليفة الشرعي للمسلمين، وبين اجتهاد سيدنا معاوية ﷺ حاكم الشام من قبل سيدنا عثمان ﷺ الخليفة الثالث، ورفض سيدنا معاوية أن يبايع الإمام على، ودبت الحروب بينهما في معركتي الجمل وصفين، ولما قتل الإمام علي ﷺ على يد عبد الرحمن بن ملجم، بايع الصحابة الحسن بن على خليفة للمسلمين، ثم تنازل

(١) سورة المائدة الآية (٥٤).

الحسن عن الخلافة لحقن الدماء، وتوحيد الصف، وعرف بعام الجماعة، وابتدع سيدنا معاوية توريث الحكم من بعده لولده يزيد، وجعله وليا للعهد، وخليفة المسلمين من بعده.

يقول الشيخ محمد الغزالي:(لقد تغير شكل الدولة أيام « معاوية بن أبي سفيان، فاختفي النظام الجمهوري الرفيع، وحل مكانه ما يشبه النظم الملكية المعروفة في أقطار الأرض الأخرى.

وجمهور المسلمين متفق على تخطئة معاوية فيما صنع. وجمهورهم يرى الخلافة بيعة حرة يختار لها أكفأ المسلمين لمنصب الرياسة. ونحن مع خاصية المسلمين وعامتهم في هذا الرأي.

على أن هذا التغير في الشكل السياسي للدولة الإسلامية لا يعني تغيرا ما في الإسلام نفسه، عقائده، وشرائعه، وكتابه، وسنته.

بل إن الحاكم الذي احتل مقعد الرياسة، أراد أن يثبت جدارته به. وإن جاء بطريق مفتعل. فتبني جميع المثل الإسلامية، واجتهد في الداخل والخارج أن يقيم أحكام الإسلام ويحترم معالمه كلها.

ومن هنا رأينا السيل الإسلامي ينساح في المشارق والمغارب. وإن كان الخلفاء ملوكا..!! ورأينا الثقافة الإسلامية تتقدم حضارة مشرقة يكون الإسلام لحمتها وسداها. ومن الخير أن نثبت كراهية هؤلاء الرؤساء وصفهم بأنهم ملوك!!.

لقد كانوا يعتدون أنفسهم خلفاء عن صاحب الرسالة في إبلاغ الدعوة وسياسة الناس بالإسلام وتوجيه مصالح الدنيا إلى هذه الغاية.

ومع أن أخلاقهم في الحكم كانوا يجيئون بطريق ولاية العهد، فإن هؤلاء الخلفاء كانوا يحرصون على تصحيح، الشكل الدستوري، بتوفير بيعة للخليفة الجديد لجعل وجوده نابعا من إرادة الأمة.

واجتهد عامتهم في أن يقوموا بواجبات الحاكم المسلم، فكان الخليفة يؤم الناس في الصلاة الجامعة، ويخطبهم، ويحج بوفودهم، ويقود الجيوش المقاتلة أعداء الإسلام!.

وكانوا يبدون الغيرة على شارات الإسلام، ويوصون بنشر العلم، ويحتفون برجالاته.

والمعروف أن مالكا ألف كتابه (الموطأ) بتوصية من (أبي جعفر المنصور) كي يبصر الجمهور بالفقه الإسلامي...

وكان يريد جمع الناس عليه لولا أن مالكا -لرسوخ قدمه في الدين- رأى أن يدع الناس يختارون لأنفسهم ما يشاءون من مذاهب الفقه.

وانظر إلى هارون الرشيد، كيف يزكي: أبا حنيفة، وهو يعلم رأيه في دولة بني العباس، ورفضه أن يتولى لهم الفضاء، فقد سأل الرشيد: أبا يوسف و قاضي القضاة في عهده: صف لي أخلاق أبي حنيفة، فقال: كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله، مجانبا لأهل الدنيا، طويل الصمت، دائم الفكر، لم يكن مهذارا ولا

ثرثارا، إن سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب، وما علمنه-يا أمير المؤمنين- إلا صائنا لنفسه ودينه، مشتغلا بنفسه عن الناس، لا يذكر أحدا إلا بخيره.

فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين..

وهؤلاء الرؤساء الذين سموا أنفسهم أمراء المؤمنين، والذين أحبوا ان يشرفوها بصفة الخلافة عن الرسول و كانت جمهرتهم بين قوى في خدمة الإسلام، أو مقتصد، أو كليل الذهن واليد...

لكن يستحيل أن يعطل أحدهم حدا أو قصاصا، أو يجحد فريضة، أو يستهين بشعيرة... الإسلام في أيامهم دين الفرد والمجتمع والدولة.

وإذا كان علماء الدين يرون حرجا في الاعتراف بصحة الطريقة التي وصل بها أولئك الخلفاء إلى الحكم، فإن هؤلاء العلماء لا يسعهم إلا معاونة هؤلاء في عزمهم على خدمة الإسلام واستقتالهم في رفعة شأنه وحياطة أمره..

يقول مالك بن أنس: "والله ما دخلت على أحد من هؤلاء السلاطين إلا أذهب الله هيبته من قلبي حتى أقول له الحق".

فسير الملوك أولادهم إليه ليسمعوا منه وينتفعوا بعلمه. ورووا أن المهدي: بعث إليه بولده موسى أو هارون، ليأخذا عنه.

وبعث الرشيد بولديه إليه، فدنا الباب فلم يفتح لهما فجلسا. والريح تضرب وجوههما بتراب العقيق - الوادي القريب من البيت- فلما يئسا انصرفا!!!

ويقول الرشيد لمالك: « تواضعنا لعلمك فانتفعنا بك، وتواضع لنا سفيان بين عيينة فلم ننتفع به، وكان سفيان يأتي قصور الخلفاء ويعرض عليهم الحديث..

إن سر الخلفاء أو الملوك الذين وقعت بين يديهم دفة الحكم في العالم الإسلامي طيلة عشرة قرون لم يفهموا الحكم إلا أداة لخدمة الإسلام:

فالمعتصم العباسي في عمورية، وصلاح الدين الأيوبي في بيت المقدس، وقطز الملوك في عين جالوت، وعشرات غيرهم من الذين حكموا بعدما ملكوا.. أولئك كلهم جعلوا السلطة المتاحة لهم وسيلة لحماية الإسلام وانفاذ شرائعه..

ولو فكر أحدهم في ترك الكتاب والسنة لقتل لساعته، واختفى اسمه ورسمه)([1]).

واستمرت الدولة الأموية تحكم المسلمين ما يقرب من تسعين عاما، تناوب أمراء بنى أمية على حكم المسلمين، محتكرين الخلافة فيهم، دون غيرهم من الصحابة والتابعين، وقامت ثورات كثيرة من المسلمين، تحت قيادات من آل البيت وغيرهم، وواجه بنو أمية بالقوة والعنف، والقتل والتشريد والتنكيل، وانشغل المسلمون بالمعارك الداخلية على الحكم والخلافة-فترة من الزمن-عن الفتوحات الإسلامية، لتوسيع حدود الدولة الإسلامية، ورد الطامعين، واشتبك الأمويون في معارك كثيرة طاحنة مع الخوارج، قتل فيها الآلاف من أجل الصراع على الحكم، ومن هو أولى بالخلافة من غيره.

---

(١) معركة المصحف في العالم الاسلامي الشيخ محمد الغزالي صـ٥٢، وما بعدها.

ولما سقطت الدولة الأموية على أيدى العباسيين وقامت الخلافة العباسية، استمرت المعارك الداخلية بين العباسيين والأمويين والعلويين والخوارج، حتى إن أبا جعفر المنصور، الخليفة الثاني في الدولة العباسية الذى حكم المسلمين عشرين سنة، واجه أكثر من ثلاثمائة ثورة داخلية، خرجت عليه لأسباب مختلفة، أهمها طلب الحكم والخلافة(١).

وهكذا استمرت هذه الثورات حتى الآن، هدفها الرئيس وغايتها الكبرى الاستيلاء على السلطة، لما لها من شهوة في النفس، وهوى مسيطر على القلوب، إلا من عصم الله ﷻ.

وقد يستعين بعض المتصارعين على الحكم بغير المسلمين، الذين يتربصون بنا الدوائر من أجل أن يصل إلى السلطة، أو يسترد حكما مسلوبا، وهذا العدو الخارجي يعتبرها فرصة قوية، لتقوية النزاع الداخلي، واتساع الفجوة، والدخول في حرب مستمرة لإضعاف الطرفين، ثم يجنى هو الثمرة والغنيمة.

وقد يساعد أحد الطرفين في الانتصار على خصمه، ثم يقضى هو على المتبقي منهما، وقد وقع هذا في التاريخ الإسلامي كثيرا، والتاريخ يعيد نفسه، ولذلك

(١) يراجع تفاصيل هذه الأحداث في تاريخ الخلفاء للإمام/ السيوطي. وإتمام الوفاء في تاريخ الخلفاء للشيخ/ محمد الخضر حسين.

حينما أورد الله ﷻ بعض قصص السابقين ختمها بقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[١].

ولعل هذا هو ما أشار إليه النبي ﷺ فقال: **"سألت ربي ثلاثا. فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة. سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها. وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"**[٢].

وجاء في الحديث النبوي الشريف، الذى يخبر بفتن آخر الزمان، ويحذر الأمة من غياب الحكم الإسلامي، المتمثل في خلافة الأمة تحت خليفة واحد، فعن أبى أمامة عن النبي ﷺ قال: **"لينقضن عرى الإسلام عروة عروة، وكلما انتقضت عروة، تشبث الناس بالتي تليها، وأولها نقضا الحكم، وآخرها الصلاة"**[٣].

إن النبي ﷺ عالج هذا السبب في نفوس أصحابه، حينما بين لهم أن الامارة أمانة ومسئولية، أمام الله ﷻ يوم القيامة، فقال: **"من استعمل رجلا على عصابة، وفي تلك العصابة من هو أرض لله منه، فقد خان الله تعالى ورسوله، وجماعة المسلمين"**[٤].

---

(١) سورة يوسف الآية (١١١).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٣) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٢٦٣/١ حديث حسن، عن أبى أمامة الباهلي ﷺ.

(٤) الحديث ذكره الإمام ابن حجر العسقلاني في الدراية ١٦٥/٢عن ابن عباس ﷺ.

ولما سألها أبو ذر ﷺ حين قال: يا رسول الله! ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي. ثم قال **"يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة، خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها"** (١).

فمن سأل الإمارة أو كله الله إلى نفسه، وتخلى الله عنه، أما من ابتلى بها على غير رغبة منه، وهو أهل لها أعانه الله عليها، وكتب الله له المعونة والتوفيق، فهناك فرق بين من يرغب فيها ويحرص عليها ويقاتل في سبيلها، وبين من يبتغى بها القرب من الله، والوصول إلى الجنة، وخدمة الإسلام والمسلمين.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٨٢٥) عن أبى ذر الغفاري ﷺ.

المطلب الرابع

التنوع والاختلاف والتعدد والتعايش داخل الأمة الواحدة.

التنوع والاختلاف ظاهرة صحية:

التنوع أمر فطرى مشاهد، وظاهرة كونية ملموسة، تجدها في عالم الجماد والنبات والحيوان، وتراها في آفاق السماء، وفي جنبات الأرض فمجرات الفضاء والكواكب والنجوم متعددة ومتنوعة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[1]. وتلاحظها في ساحات الأرض، قال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾[2].كما تشاهدها في عالم النبات قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ ﴾[3]. بل تراها في كل أنحاء المعمورة من المخلوقات كلها، فكأن التنوع ضرورة لاستمرار الحياة من التجدد والتكامل، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٩٠).

(٢) سورة الرعد الآية (٤).

(٣) سورة الأنعام الآية (١٤١).

(٤) سورة فاطر الآيتان (٢٧-٢٨).

كما أن دواب الأرض، وطيور السماء أمم متعددة ومتنوعة مثل عالم البشر- سواء بسواء، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (١).

هناك تباين في مخلوقات الله، وهذا لون من الجمال، فهناك حر وظل، وصيف وشتاء، وأبيض وأسود، وحلو ومر، وسكر وملح، ورجل وامرأة، وذكر وأنثى، وسالب وموجب، وشرق وغرب، وشمس وقمر، وعالم ومتعلم، وهذا التنوع يجعل الإنسان يتقلب بينهم، فيجد راحته ومتعته، فالتنوع لا يعنى الخصومة والفرقة دائما، بل قد يكون التكامل والتقارب.

وإذا كان التنوع والتعدد والاختلاف سنة إلهية وقانون عام مطرد في سائر عوالم المخلوقات، والإنسان ليس غريبا ولا شاذا عن الكون، بل الكون مسخر له، فهو أيضا يعيش في هذا التنوع والتعدد، من أجل التكامل والتناغم قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنعام الآية (٣٨).

(٢) سورة الروم الآية (٢٢).

(٣) سورة هود الآيتان (١١٨-١١٩).

والإنسانية واحدة في الفطرة، وواحدة في الغرائز، ولكن الخلاف يأتي من توجيه هذه الغرائز، خاصة حينما يشب نزاع بين دواعي العقل، وأهواء النفس، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

فالخلاف ظاهرة إيجابية ما لم يؤد إلى تنازع أو خصام، بل ينبغي أن يؤدى إلى التعايش والانسجام، وأن يكون تنوعا للتكامل وليس للتصادم.

إن هناك فروقا ضخمة بين كل فرد وآخر، وإن هناك تمايزا بين كل إنسان وآخر، تلحظ ذلك في صورته، وصوته، بل بصمة أصبعه مختلفة عن غيره في العالم قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾[2].

فأخذ البصمات الصوتية واليدوية دليل على التمايز والاختلاف بين الجميع، ومستوى العقل والذكاء والفطنة يتفاوت بين الناس أيضا، وأصبحت له مقاييس لتحديد الدرجة، من أجل ذلك يتفاوت الناس في مستواهم العلمي والمعرفي والله تعالى يقول: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾[4].

---

(١) سورة يونس الآية (١٩).
(٢) سورة القيامة الآية (٤).
(٣) سورة يوسف الآية (٧٦).
(٤) سورة المجادلة الآية (١١).

إن التفاوت في المواهب والقدرات هو الذى يدفعهم إلى حاجة كل منهم إلى آخر، فالبشر ليسوا نسخا مكررة، وليسوا آلة صماء، بل كل إنسان له شخصيته المستقلة، ومن ثم يجب احترام الآثار التي تترتب على هذا التفاوت من أجل المصلحة العامة للجميع.

❁❁❁

من مقاصد التعدد:

١- التسابق بين الناس في طريق الخير، والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[(١)].

٢- إتاحة الفرصة للمجتهدين والموهبين في التجديد والإبداع، حيث لا يتحقق ذلك إلا في ضوء التمايز والاختلاف، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ ﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ ﴾[(٣)].

نعم إن الخلاف يمكن أن يكون نافعا للحياة إذا كان يدعو إلى التنافس والتسابق إلى الخيرات، ومعرفة أفضل النظم لتيسير حركة الحياة، ويعلم كل فريق

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٨).

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٨).

(٣) سورة الليل الآية (٤).

أيهما أكثر معرفة وعلما بالحياة، وأفضل تسخيرا للكون وما أودعه الله فيه من كنوز، يكشف أسراره، وتوظيفها له في ما يفيد ويبنى ويعمر.

❁❁❁

المذاهب الفقهية والاختلاف:

إن كل إنسان له شخصيته المستقلة، وذاتيته الخاصة، ومن ثم تختلف وجهات النظر تجاه بعض القضايا، وهذا أمر لا بأس به ما دام محصورا في الأمور الفرعية، وتحت إطار الاجتهاد الفقهي بضوابطه المعروفة، وهذ ليس فيه أية عقبة في طريق الوحدة الإسلامية.

وقد يظن بعض الناس أن المذاهب الفقهية لها دور كبير في الخلافات المذهبية والتفرقة بين المسلمين، وهذا فهم خاطئ، وبعيد عن الحقيقة والصواب لأن المذاهب تمثل فهم الأئمة والعلماء للتشريع، ومن المستحيل أن تكون الأمة كلها على فهم واحد في التشريع الإسلامي، نظرا لمرونة التشريع وظنية الدلالة لكثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

لهذا كله ولغيره يصعب جمع الناس على رأى واحد في كل مسائل العلم الفرعية، وهذا إمام المدينة المنورة الإمام مالك حينما كتب الموطأ طلب منه الخليفة أن ينسخه ويوزعه على الأمصار ليجمع المسلمين على ما فيه من أحكام فقهية

فرفض الإمام مالك وقال: "إن الصحابة تفرقوا في البلاد وأفتى كل واحد منهم برأي، ولو جمعت الناس على رأى واحد لكان فتنة لهم"[١].

وقال: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"[٢]. وقال الإمام أبو حنيفة: "رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب"[٣].

فهو لا يحتكر الصواب لنفسه وإنما يفتح الباب أمام آراء الآخرين، والأقوال المأثورة عن الأئمة الأعلام في الفقه والحديث كثيرة، كلها تبين أن كل واحد منهم ما تعصب لرأيه وادعى له العصمة، أو سفه رأى غيره ونال منه وإنما قال الإمام مالك رحمه الله وهو واقف أمام قبر النبي ﷺ "كل يؤخذ منه ويرد إلا صاحب هذا القبر-يقصد خاتم النبيين ﷺ-" [٤].

ومن هنا يظهر جليا أن المذاهب الفقهية إيجابية في فهمها للنصوص، واستنباط الأحكام منها، وليس لها أي أثر سلبى على وحدة الأمة، وأخوة المسلمين، وما كان ظاهرة كذلك فالمشكلة في فهم الناس وتعصبهم، وليس في مذاهب الأئمة وتراثهم الفقهي الموروث.

---

(١) قواعد التحديث للقاسمي صـ٣٥٢.

(٢) قواعد التحديث للقاسمي صـ٣٥٢.

(٣) الأحكام لابن حزم الظاهري ٦/٢٤٤.

(٤) كشف الخفاء للعجلوني ٢/١٥٥.

فينبغي للمسلمين أن يميزوا بين الأصوات التي تدعو إلى الوحدة والتوحيد، وبين الأبواق التي تنشد الفرقة والخصام، وإن تعدد المذاهب وتنوعها ليس مشكلة، إنما المشكلة في التعصب المذهبي الأعمى **الذى** يجعل الإنسان لا يرى إلا نفسه، ولا يسمع إلا ذاته، ولا يرى الآخرون، ولا يحترم آراءهم.

وبالرغم من وجود الخلاف الفقهي على الساحة الإسلامية قديما وحديثا، فإن ذلك لم يكن مانعا من الاتفاق حول القضايا المصيرية الهامة، من خلال التنسيق والتعاون بين الجميع، لتحقيق هدف أكبر، يحقق المصلحة العامة للأمة المسلمة.

❁❁❁

الفرق بين الخلاف الفقهي والفرقة:

(١) إن التعدد المذهبي، والخلاف الفقهي لا يعطل وحدة الأمة، ولا يدعو إلى النزاع أو الخلاف الممقوت والمرفوض.

(٢) الخلاف المذهبي ما هو إلا خلاف فقهي أو فكرى أو علمي فقط لا يتعداه، حيث إن الجميع مسلمون موحدون بالله ﷻ والمطلوب ألا يتطور الخلاف الفقهي والاجتهاد إلى التعصب للرأي، وتسفيه ما سواه، أو يتطور إلى التقاتل والتباعد والتراشق الكلامي.

(٣) الاختلاف الذى يرفضه الإسلام هو الذى يؤدى إلى التفرق والتمزق، ويؤدى إلى ضياع القوة، وذهاب الريح، والله يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[1].

(٤) الخلاف الفقهي ظاهرة صحية ما دام تحت مظلة الآداب الإسلامية، أما الفرقة فهي ظاهرة مرضية تنبئ عما وراءها من اختلاف في القلوب، وتنافر في العقول، وتباغض في النفوس، وتشاحن داخل الصفوف.

(٥) الخلاف الفقهي يقبله الإسلام ويتسع صدره له، أما الفرقة فيرفضها الإسلام ويغلق الطريق أمامها.

ولقد حذر النبي ﷺ من بعض الأمور التي تؤدى إلى هلاك الأمة، والتي بالفعل أدت إلى هلاك الأمم السابقة، ومن هذه الأمور كثرة الأسئلة التي تؤدى إلى الجدل والخلاف، أو المسائل الافتراضية، أو الترف الفقهي في المسائل التي لم تقع بعد، فهذا يشغل الناس عن القضايا الهامة التي تحتاجها الأمة، أو المشكلات الواقعية بالفعل.

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: **"أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل: أكل عام؟ يا رسول الله! فسكت، حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما**

(١) سورة الأنفال الآية (٤٦).

استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه، إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم. وإنما أذن لي فيها لم يفسق" (١).

❁❁❁

التعايش بين السنة والشيعة:

إن قضية التعايش بين السنة والشيعة، خاصة المعتدلة منهم تعد من القضايا الأساسية في ميدان وحدة الأمة الإسلامية، وهي لا تعنى بالضرورة أن يتنازل أحد الطرفين عن مبادئه الأساسية، أو يتغلب مذهب على مذهب، أو فريق على فريق، وإنما تعنى التعايش السلمى بين الطرفين، وحشد الطاقات الكبيرة في مواجهة المشكلات المصيرية الضخمة التي تواجه الأمة الإسلامية من الداخل، وصد الهجمات من الخارج، والتعاون المتبادل لخير الأمة.

والتعايش لا يعنى الذوبان والانصهار، وإنما يعنى اندماج الشعوب بعضها ببعض، واحترام حقائق التنوع والتعدد. والخلافات السياسية هي التي توسع الفجوة، وتجعل من الشقوق سياطا تمزق جسد الأمة، وتقطع أرحامها، وتغطى على نقاط الاتفاق، وتضع غمامة على العيون تحجب رؤية الممارسات الإيجابية.

إن هناك تجربة للتعايش السلمى والمسالمة والانفتاح بين السنة والشيعة في دول الخليج، وفي بلاد الشام، عاشوا جنبا إلى جنب أكثر من ألف عام، وإذا كانت هناك فترات قصيرة من التصادم إنما مرده إلى استخدام الحكام طائفة ضد أخرى،

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٣٣٧) عن أبى هريرة ﷺ.

فتدخل بعض الساسة والحكام بين الفئتين لضرب إحداهما بالأخرى من أجل توطيد أركان عرشه، تلك هي المشكلة الكبرى التي تعانى منها الأمة الإسلامية قديما وحديثا.

ينبغي أن يكون هناك تنوع في إطار جامع للأمة الواحدة، حيث تختلف الشعوب في الأجناس والألوان والألسنة واللغات، والقوميات والمذاهب، وفي النهاية تعيش في إطار جامع للوحدة الإسلامية، وهذا ليس تنازعا أو شقاقا، وليس تناقضا أو اختلافا.

❁❁❁

تعايش غير المسلمين في المجتمع المسلم:

لقد أثمر الإسلام مجتمع التسامح مع ديانات مختلفة، عاشت تحت مظلته، واحترمت تعاليمه، ودانت لأمرائه وحكامه بالسمع والطاعة، والتقدير والاحترام، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

فتعايش المسلمون مع غيرهم رغم الاختلافات العقدية والفكرية الجوهرية، فكيف بأبناء العقيدة الواحدة داخل المجتمع المسلم، مع مراعاة أن اختلاف المذاهب تفتح أبواب التيسير في تطبيق تعاليم الإسلام.

---

(١) سورة الممتحنة الآية (٨).

لقد عاش المسلم واليهودي والمسيحي جنبا إلى جنب، في شارع واحد، وعمارة واحدة، أفلا يجدر بالمسلمين أن يعيشوا بطوائفهم في اتحاد وتكاتف.

إن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم أبرز وأهم الديانات في العالم، سواءً الإلهية أم الأرضية، الصحيحة أم الباطلة، وهذا إقرار بأن الحقيقة موجودة في الحياة، لكن الله ﷻ أجل الفصل والحكم بينهم في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[١].

لذلك ينبغي أن يسعى الجميع إلى الحوار الهادئ، والاحترام المتبادل، بحثا عن الدليل والبرهان، الذى يقود إلى الحق والصواب، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾[٣]. فالخلاف الديني لا ينبغي أن يؤدى إلى الصراع والنزاع، بل تحت أسلوب الحوار بالتي هي أحسن يمكن الوصول إلى المعايشة والاحترام من منطلق قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٤].

❁❁❁

(١) سورة الحج الآية (١٧).
(٢) سورة الأنبياء الآية (٢٤).
(٣) سورة الأنعام الآية (١٤٨).
(٤) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

المطلب الخامس

واقع الأمة وحاجتها إلى الوحدة.

الجماعية أمر فطرى، مركوز في داخل كل فرد، بل إنها موجودة في عالم الحيوان، والطيور، ولها قانون داخلي يحكمها، فالطيور تسافر وتهاجر في صورة جماعية من المناطق الباردة إلى الدافئة، والحشرات تعمل في صورة جماعية، مثل عالم النحل والنمل، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[1].

والإنسان ليس غريبا عن هذا الكون الذى يعيش فيه، ولا شاذا عنه، فهو اجتماعي بطبعه وجبلته وفطرته التي خلقه الله عليها، وفضله على جميع المخلوقات قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[2].

ومن حاول أن يشذ عن هذا النظام، ويعيش بمفرده معزولا عن المجتمع لا يستطيع، ويحكم على تجربته بالفشل، حيث لا بقاء للفردية، ولا استمرار لها في الحياة، لأنها تصطدم مع الفطرة، والسنن الإلهية.

---

(١) سورة الأنعام الآية (٣٨).

(٢) سورة الإسراء الآية (٧٠).

إن طبيعة الحياة تفرض على الإنسان الخلطة بالآخرين وعدم الانعزال على مستوى الفرد والجماعة والدول، حتى لا يكون الفرد فريسة لمن هو أقوى منه، ولا تكون الدولة الصغيرة مطمعا لغيرها من الدول الكبرى.

وتتعدد مظاهر الضعف التي وصلت إليها الأمة المسلمة في نواح شتى، وهي ظاهرة للعيان، ولا تحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب، ويمكن رصد أبرز هذه المظاهر من خلال ما يأتي:

ففي مجال الحكم والسياسة، تنص الدساتير كلها في العالم الإسلامي على أن الدول مسلمة، ودستورها القرآن، والشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع، ومع هذا كله تجد الشريعة الإسلامية مغيبة في أكثر هذه البلاد، ففي مجال الحدود، تجد حكم القاتل، والزاني، والسارق، وشارب الخمر، يختلف تماما مع ما جاءت به تعاليم القرآن والسنة، إلا في قليل من الدول الإسلامية.

كما أن هناك أصواتا عالية في كثير من الدول الإسلامية تنادى بعلمنة الدولة (أي فصل الدين عن الحياة) فيصبح الدين مسألة شخصية للفرد، داخل المسجد فقط، لا علاقة له بالأخلاق والسلوك، ولا علاقة له بنواحي الحياة المختلفة، متشبهين في ذلك بعلمانية النصارى في الغرب، وقد يكون هذا له ما يسوغه عند النصارى، لكن هذا ليس له ما يجعله مقبولا في تعاليم الإسلام، وبين المسلمين.

وتعانى الأمة المسلمة من ضعف في الناحية العسكرية، رغم وفرة الأعداد الضخمة من الجنود والضباط، والقدرة العالية على التدريب، وتميز العقلية

الإسلامية في التخطيط والتنفيذ، لكن تبقى القضية الرئيسية وهي أن الغرب لا يزال يحتكر صناعة السلاح، ويحتفظ بأسراره، ويصدر للبلاد الإسلامية أسلحة قديمة، حتى يضمن التفوق والتميز في هذا المجال، ويبقى الشرق سوقا مستهلكا لمصانع السلاح الغربية.

كما تعرضت عدة دول إسلامية حديثا لغزو أجنبي غشوم، دمر الحياة العامة، وأفسد على الناس حياتهم الخاصة، ولازالت تعانى تلك الدول من جثامة هذا الاحتلال على صدرها، طامعا في خيراتها من مصادر الطاقة، أو موقعها الجغرافي، وما فلسطين والعراق وأفغانستان، والشيشان والصومال عنا ببعيد.

ومن الجدير بالذكر، أن الاحتلال العسكري قبل أن يرحل من أي دولة مسلمة، يخلف وراءه طبقة من الحكام يحققون أهدافه، فيترك لهم مقاليد الحكم، فإذا ما خالفوا الطريق المرسوم، استبدلهم بغيرهم، وأكبر دليل على ذلك في هذه الأيام، ما نراه في العراق وأفغانستان.

وهناك حدود جغرافية مصطنعة، وضعها الاحتلال بين الدول الإسلامية، فلا يمكن لأى مسلم مجاور لحدود السعودية أن يعبر إليها لأداء الحج والعمرة إلا من خلال الحصول على تأشيرة دخول، وكذلك الحال بالنسبة للعمل، رغم أن الجميع مسلمون.

هناك دول في قمة الثراء والغنى مثل دول الخليج، وهناك دول في قاع الفقر والحرمان مثل وادى النيل وبلاد الشام،، هناك أيد عاملة تعانى من البطالة،

وهناك نقص في الأيدي العاملة في دول أخرى، هناك دول عربية مدخول الفرد فيها يعد من أعلى مدخول في العالم، ودور عربية إسلامية مجاورة يعد مدخول الفرد فيها ممن يعيشون تحت خط الفقر، فكيف يكون ذلك في دول عربية إسلامية دينها يدعو إلى التكافل الاجتماعي، فلماذا تذهب خيرات المسلمين إلى البنوك الغربية، ولا تستثمر في هذه الدول الفقيرة، بسبب البيروقراطية أو لأسباب أخرى.

هناك تفسخ في النظام الاجتماعي، حيث ظهرت كثير من الأمراض الاجتماعية الغريبة عن المجتمعات المسلمة، مثل الانحراف الجنسى عند بعض الشباب، فالإحصائيات ارتفعت في الجامعات العربية فوق الآلاف، وكذلك الإدمان والتدخين، والتفكك الأسرى، كما أن حالات الطلاق تعج بها المحاكم، وانتشار الجريمة، وعدم شعور المواطن بالأمان في بلده، وأحيانا يحارب حجاب المرأة المسلمة عند خروجها للدراسة أو العمل أو قضاء بعض ضروريات الحياة، إن كثيرا من الدول العربية مسجلة في التقارير السيئة في منظمات حقوق الانسان بسبب تقصيرها في حق مواطنيها، وعدم توفير الحد الأدنى من المعيشة أو الحرية.

مشكلات كثيرة لم تكن موجودة من قبل طفت على الساحة، خاصة عندما نقارن الحياة اليوم، بحال الأمة منذ قرن مضى.

والناظر في حال الأمة الإسلامية اليوم يجدها أشتاتا وشراذم متفرقة، فمنذ أن أسقطت الخلافة الإسلامية، وقسمت الأمة الإسلامية إلى أكثر من أربعين دويلة،

وظهر في معظم البلاد الإسلامية كثير من الفتن والعجائب والغرائب، حتى أمسى الذى يحافظ على دينة كالقابض على الجمر.

لقد اجتمعت على أمتنا كل أمم الأرض، من صليبين حاقدين، وشيوعيين ملحدين، ويهود طامعين، ووثنين شامتين، وحتى عباد البقر... كل هؤلاء اجتمعوا لا لأنهم يحبون بعضهم، بل لأن عدوهم واحد، وهو الإسلام

إن أكثر المادة العلمية المعروضة في الصحف اليوم تتحدث عن مذابح المسلمين، وتخريب بيوتهم، وهدم مساجدهم، وذبح أطفالهم، وسبى نسائهم، فمذبحة في كسوفا، وأخرى في بورما، وتخريب في العراق، وآخر في كشمير وقتل وتعذيب في أريتريا، وآخر في الهند.

وحول واقع الأمة وحاجتها إلى الوحدة والعودة إلى منهج الله، خاصة بعد سقوط الخلافة الإسلامية، في العقد الثالث من القرن العشرين كتب أحد مشاهير الدعاة رسالة بعث بها إلى الملك يشرح فيها حال الأمة وما علية المجتمع الإسلامي في عصره فكتب يقول:

(يا صاحب الجلالة. حدود الله معطلة لا تقام، وأحكامه مهملة لا يعمل بها، في بلد ينص دستوره على أن دينه هو الإسلام. بؤرة الخمور، ودور الفجور، وصالات الرقص، ومظاهر المجون تغشى الناس في كل مكان، حتى الإذاعة اللاسلكية كثيرا ما تنقل جراثيم هذا الفساد إلى البيوت، أندية السباق والقمار تستنفد الأوقات والأموال، ويعمرها كبار القوم، ويتردد عليها ثراة الأمة، كبار

الموظفين يضربون للناس أسوأ المثل في كل تصرفاتهم الشخصية والرسمية، مما أطلق السنة الناس بالنقد، وأضعف ثقتهم بالحكام، الصور الساخرة المتبرجة بالزينة التي لا تتفق بحال مع آداب الإسلام وما فرضه الله على المرأة من التستر والاحتشام... كل هذا وغيره حطم عقائد الشعب واضعف ثقته بنفسه، وأنساه المثل الأعلى، وصرفه عن طاعة الله)[1].

فمن خطورة غياب الوحدة الإسلامية، أن الأمر يؤول إلى تفكك الأمة إلى دويلات صغيرة، وإلى انفجار الأسرة، التي هي ركيزة الوحدات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، حيث ينصرف كل فرد فيها لشؤونه الخاصة، وربما استغلت السطلة في الأمة المتفرقة بعض أفراد الأسرة ضد البعض الأخر، وبهذه الصورة تتحول الأمة إلى أكوام بشرية لا علاقة بينها، حيث تشيع الأنانيات الفردية، وتتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية، وتتعطل فعاليات العقيدة والرسالة في الحياة، وتموت معنويات الأمة، ومن ثم يتهدد الأمن القومي للأمة، وتصبح أثرا بعد عين، وما أحداث وواقع لبنان والعراق والصومال عنا ببعيد.

❁❁❁

(١) جريدة النذير ٨ المحرم سنة ١٣٥٨هـ.

المطلب السادس

العوامل التي تقوم عليها الوحدة الإسلامية.

إن الله ﷻ لم يخلق البشر جميعا متساوين في أفهامهم أو عقولهم أو أرزاقهم، وإنما وضع تفاوتا بينهم ليكمل بعضهم بعضا، ويساعد بعضهم بعضا، ويحتاج بعضهم إلى بعض، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾[٣].

فالتفاوت بين الناس في المواهب والعطاءات سنة إلاهية، ليحتاج كل إنسان إلى غيرة، فتقوى شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس، ولقد أعطى الله ﷻ الأمة المسلمة كثيرا من المنح التي تساعدهم على جمع الشمل، وتوحيد الصف، فأصول الإسلام واحدة، وكل المسلمين يؤمنون بها، وقبلتهم واحدة، وكلهم يصلون إليها، وكتابهم واحد، وكلهم يتعبدون إلى الله به، وعوامل الاتفاق أكثر من عوامل الاختلاف، ومن ثم يجب الاستفادة من هذه العوامل، من أجل السعي الجاد

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٢) سورة النحل الآية (٧١).

(٣) سورة الزخرف الآية (٣٢).

لجمع صف الأمة مرة تانية تحت راية واحدة. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير: (يأمر ﷻ عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم، وقال ابن جرير والإثم: ترك ما أمر الله بفعله، والعدوان: مجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم)[2].

ولا شك أن المسلمين يملكون من عوامل القوة التي تساعدهم على قيام الوحدة الإسلامية في سهولة ويسر ـ الشيء الكثير، وهذا ما صرَّح به الرحالة الألماني (بول أشمير) في كتابه الذى سماه (الإسلام قوة الغد) قال فيه إن مقومات القوى في الشرق الإسلامي تنحصر في عوامل ثلاثة:

١-قوة الإسلام كدين وفي الاعتقادية، وفي مثله، وفي مؤاخاته بين مختلفي الجنس واللون والثقافة.

٢-وفي وفرة مصادر الثروة الطبيعية، في رقعة الشرق الإسلامي الذى يمتد من المحيط الأطلسي على حدود مراكش غربا، إلى المحيط الهادي على حدود أندونسيا شرقا، وتمثيل هذه المصادر العديدة لوحدة اقتصادية سليمة قوية، والاكتفاء ذاتي، لا يدع المسلمين في حاجة مطلقا إلى أوربا، أو إلى غيرها إذا ما تقاربوا وتعاونوا.

---

(١) سورة المائدة الآية (٢).

(٢) تفسير ابن كثير في تفسير آية المائدة السابقة ٧/٢.

٣-خصوبة النسل البشرى لدى المسلمين، مما جعل قوتهم العددية قوة متزايدة، فاذا اجتمعت هذه الثلاثة، فتآخى المسلمون على وحدة العقيدة وتوحيد الله، وغطت ثروتهم الطبيعية حاجة تزايد عددهم، كان الخطر منذرا بفناء أوربا، وبسيادة علمية في منطقة هي مركز العالم كله[1].

وكل هذه العناصر هي فعلا من أهم مصادر القوة عند المسلمين، ويجب استغلالها، والاستفادة منها، وتوظيفها إيجابيا نحو توحيد الأمة فيما بينها، والاكتفاء الذاتي في الداخل دون الحاجة إلى الغير.

❁❁❁

ومن أهم العوامل التي تساعد على وحدة المسلمين ما يأتي:

١-وحدة الغاية والهدف والعقيدة:

العقيدة الإسلامية كانت السبب الرئيسي الذى جمع القبائل كلها تحت راية واحدة، هي راية الإسلام، حيث كانت القبائل متفرقة ومتناثرة ومتناحرة، يقاتل بعضها بعضا على أتفه الأسباب، فصنعت العقيدة الإسلامية منهم أمة واحدة، لها هدف ورسالة وغاية.

---

(١) مجلة الأمة القطرية العدد الأول صـ١١ سنة ١٤٠٠هـ /سنة ١٩٨٠مـ.

وإذا كانت غاية كل مسلم-عربيا أو أعجميا-هي الله ﷻ فإن ذلك من أعظم ما يدل على وحدة المسلمين في غايتهم ووجهتهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].

فقد نادى الإسلام المسلمين جميعا في شتى بقاع الأرض بأنهم أمة واحدة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾[3].

فالعمل لله هو الدافع الوحيد لكل مسلم، وإذا أشرك مع الله غيره فعمله مردود عليه، والعقيدة الإسلامية هي عقيدة التوحيد الصرف، فهي تقوم على توحيد الله في ذاته وأسمائه وصفاته، والله ﷻ يقول عن نفسه في القرآن العظيم: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[4].

ورساله التوحيد التي جاءت بها الرسل جميعا وعلى رأسهم محمد ﷺ تشد الكيان الإنساني كله إلى حقيقة الله ﷻ وذاته وصفاته، فهو وحده المنفرد بالعبودية، له ما في السماوات وما في الأرض وهو على كل شيء قدير.

---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٦).
(٢) سورة الحج الآية (٧٧).
(٣) سورة الأنبياء الآية (٩٢).
(٤) سورة الشورى الآية (١١).

جاء الإسلام بعقيدة سامية ليعلم كل فرد حجمه الحقيقي كعبد، خاضع للقدرة الإلهية، فلا يتجاوز حجمه فيطغى أو يبغى، أو يقصر في القيام بواجباته وأداء الأمانة المعهودة إليه، بل عليه أن يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئا.

وإذا كانت غايه المسلم في كل زمان ومكان هي الله ﷻ فعليه ألا يرهب من أي قوة مهما بلغت، ومهما تعددت مصادرها، لأنه يستمد قوته من القوى المتين.

فإذا كان المسلمون تجمعهم عقيدة واحدة، فإن ذلك بلا شك سيفسح الطريق أما وحدة إسلامية جامعة، وهكذا تعد وحدة الغاية والعقيدة من أهم مظاهر وحده المسلمين، التي يلتفون حولها، مواجهين الصعاب، في سبيل مرضاة الله ﷻ.

❁❁❁

٢-وحدة العبادات:

إن العبادات في الإسلام تعد من أعظم الأمور التي تدل على وحدة المسلمين وتماسكهم، فلقد حرص الإسلام أن تكون عبادة المسلمين في شتى بقاع الأرض في وقت واحد، على هيئة واحدة، لتوحد بين صفوفهم وقلوبهم، ولنأخذ بعض الأمثلة من هذه العبادات التي تجسد وحدة المسلمين وتظهر جمع كلمتهم.

❁❁❁

(أ) الصلاة تدعو إلى الوحدة:

الصلاة تؤدى فردية وجماعية، والإسلام ضعّف أجرها بضعا وعشرين مرة عندما تؤدى في جماعة.

عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته وحده سبعا وعشرين"**(١).

ويقف المسلم فيها مع إخوانه بين يدي الله ﷻ في صف واحد، في خشوع ووقار، وما هذا التضعيف في الثواب إلا إغراء إلى الانضواء تحت الجماعة، ونبذ العزلة والانفرادية، والاندماج في أحضان الجماعة.

ومشهد صلاة الجماعة يتكرر خمس مرات في اليوم والليلة، ومشهد صلاة الجمعة يتسع لأهل القرية ويتكرر كل أسبوع، ومشهد صلاة العيد في الخلاء خارج المنطقة السكنية يتسع ليشمل البلد كلها، حتى النساء والأطفال، بل إن أصحاب الأعذار من النساء يحضرن صلاة العيد في الخلاء، ليشهدن الخير وزيادة في النفع.

❁❁❁

(ب) الصيام يدعوا إلى الوحدة:

صيام رمضان أحد مظاهر الوحدة الإسلامية، حيث هناك إجماع بين المسلمين جميعا على أن صيام رمضان أحد أركان الإسلام الخمسة، وأنه شهر واحد في العام، وأنه يجب على المكلفين صيامه، باستثناء أصحاب الأعذار، قال تعالى:

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٦٥٠) عن عبد الله بن عمر-رضى الله عنهما-.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[1].

والمسلمون في العالم يصومون هذا الشهر الفضيل من مطلع الفجر إلى غروب الشمس، وكل بلد تشترك مع غيرها في جزء من الليل لها أن تأخذ برؤيتها في بدء رمضان ونهايته، ومن ثم تصبح هذه الفريضة مظهرا من مظاهر الوحدة بين المسلمين جميعا، حيث يبدؤون وينتهون ويصومون بصورة موحدة، فوحدة العبادة تنعكس على وحدة الصف والرابطة، ووحدة العمل والبناء.

❁❁❁

(ج) الزكاة تدعوا إلى الوحدة:

الزكاة صورة مشرقة للتكافل الاجتماعي بين المسلمين، حيث يؤخذ المال من الأغنياء ويرد على الفقراء، ويدفعها الغنى على أنها واجبة عليه، ويأخذها الفقير على أنها حق له، قال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[2].

ومن آثار هذا التكافل يتولد الترابط بين أفراد المجتمع الواحد، حيث يشعر الفقير أنه ليس وحده، وأن هناك من يشعر بعوزه، ويقف بجواره، ويربت على كتفه، ويمسح دمعته، ويمد له المساعدة والعون، يبتغي بذلك الثواب والأجر من الله ﷻ.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٣).

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٣).

إن هذه الروح حينما تسرى بين أفراد المجتمع الواحد يشعرون جميعا أنهم أسرة واحدة، وجسد واحد، ومن ثم تصبح الزكاة عاملا هاما من عوامل تقوية الروابط الاجتماعية الداخلية بين أبناء المجتمع الواحد، وتكون خطوة للأمام نحو توحيد الأمة المسلمة من الشريعة إلى الطبيعة.

❁❁❁

(د) الحج تجسيد للوحدة:

فالحج مجال عظيم لجمع كلمة الأمة، ولمّ شملها، وتوحيد صفوفها، حيث يجتمع فيه المسلمون كل عام من مشارق الأرض ومغاربها، لا فرق بين أبيض وأسود، ولا بين غنى ولا فقير، ولا بين مصري ولا هندي، فالذي يجمعهم هو الدين، وليس القومية أو العصبية، أو العرف أو اللون، وهذه دعوة إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

وإذا كان في الحج منافع للمسلمين كما أشار الحق عز وجل في قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٧).

مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾[1].

فإن توحيد الأمة هو خير منفعة للحج، خاصة في هذا الوقت الذى عز فيه اللقاء بين الأشقاء المسلمين من الرؤساء، على الموائد السياسية، من خلال الندوات والمؤتمرات، فتأتى فريضة الحج لتحقق مالم تحققه بعد المؤتمرات، فتجمع بين قلوب أولى الأمر في الأمة، وتؤلف بينهم، فيلتقون على البر والتقوى، وتبعدهم عن الإثم والعدوان.

ولعل هذا يعكس الجوانب السياسية والاجتماعية في الحج، فهو ليس مجرد عبادة يؤديها المسلم لمجرد أنها فرضت عليه، أو أنها من مجموعة الشعائر، وهو ليس رحلة ترفيهية يبذل فيها المسلم وقته وجهده وماله، ولكنها رحله روحيه إيمانية جهادية تتجلى فيها الفوائد والمنافع الخلقية، والدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

وإذا كانت الروحية والإيمانية معروفة لنا جميعا وتتمثل في أثر الحج المبرور علي المسلم وعلاقته بغفران الذنوب حيث يقول ﷺ في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"**[2].

---

(١) سورة الحج الآيتان (٢٧-٢٨).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخارى (١٥٢١) عن أبى هريرة ﷺ.

فإن المنافع الاجتماعية أبعد أثرا، حيث تعود على الأمة الإسلامية بالخير الكثير، لأن الحج من أحد جوانبه يعتبر مؤتمرا سياسيا كبيرا يعبر عن وحدة المسلمين وتماسكهم، بعدما تعاونت الصهيونية العالمية مع الاستعمار لضرب هذه الوحدة.

فالله ﷻ قد فرض الحج على من استطاعه فرضا مقدسا، لذلك مازالت مكة المكرمة حتى اليوم مجتمعا يجتمع فيه كل عام أكثر من مليون حاج، وافدين من كل رقعه من رقاع العالم الإسلامي، وهناك أمام الكعبة يتعارف المسلمون على اختلاف الألسنة والأجناس ويعيشون قضايا المستضعفين في كل مكان.

فالحج هو المؤتمر الإسلامي السنوي العام الذى يتباحث فيه نواب المسلمين القادمون من أقطار المعمورة، في مصالح الإسلام، وفيه يقوم هؤلاء بوضع الخطط، ورسم الطرق، للدفاع عن الإسلام، والذب عن حياض المسلمين، ونشر الدعوة في سبيل الله ﷻ.

ضرورة استغلال الحج:

إذا كان خصوم الإسلام قد أدركوا هذه الفوائد العظيمة لفريضة الحج، فجدير بنا نحن المسلمين أن نعيها ونحاول استغلالها في لم شمل الأمة، ومناقشة قضاياها الأساسية، وما أكثر هذه القضايا التي تحتاج إلى طرح على الملأ في موسم الحج، وأهم هذه القضايا:-

١-القضية الفلسطينية، وعودة القدس، وتحرير الأقصى الأسير.

٢-حماية الهوية الإسلامية من الذوبان والتوهان.

٣-تحقيق التكامل الاقتصادي بين المسلمين في كل مكان.

٤-تحرير الغذاء والسلاح من التبعية للغرب والشرق.

٥-سداد الديون، والخروج من مأزق التخلف العلمي والتكنولوجي.

٦-مواجهة حملات التنصير في جنوب أفريقيا وغيرها.

٧-إيقاف رحى الحرب الدائرة على المسلمين في أي مكان.

فهذه القضايا وغيرها لن نستطيع أن نواجهها إلا إذا اجتمعت كلمة الأمة، وتوحدت صفوفها، وموسم الحج فرصة كبيرة للمسلمين جميعا كي يحققوا ذلك.

وهكذا يكون الحج كأحد العبادات الهامة في الإسلام، رمزا لوحدة المسلمين، وجمع كلمتهم، والتغلب على الواقع الصعب، الذى تحيى فيه الأمة، من أجل صنع مستقبل أفضل يحلم به المسلمون جميعا.

❁❁❁

٣-وحدة القدوة والأسوة:

إذا كان المسلمون في شتى بقاع الأرض تجمعهم عبادة واحدة وتوحدهم غايه ثابته، فإن قدوتهم وأسوتهم أيضا واحدة، وهو محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

(١) سورة الأحزاب الآية (٢١).

والأسوة الحسنة للرسول تعني اتباع سنته وهديه، وامتثال طاعته، وحبه حبا شديدا، أكثر من حب المسلم لنفسه التي بين جنبيه، وعدم تقديم رأي أو قول على قوله ورأيه ﷺ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾(١) وقال أيضا: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾(٢).

وينشأ عن هذا الاتباع وحدة في السلوك والأخلاق، فالمسلمون جميعا ملزمون بالاقتداء به ﷺ سلوكا واتباعا وقدوة على طول الزمان لما يمتاز به من أخلاق فاضلة، شهد الله ﷻ له بها في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾(٣).

❁❁❁

٤-وحدة في التاريخ:

فالمسلم لا يرتبط بتراب الوطن رغم حبه له، فله معه ذكريات وتاريخ لا ينسى، ولا بصبغة اللون التي خلقه الله بها، فليس معيار التفاضل الأبيض والأسود، بل إن تاريخ الإسلام الذى ينتسب إليه المسلم، وبه يعتز يجعله يفتخر بأنه من أمة مسلمة، فخمسة عشر قرنا مرت من الزمان هي جزء من تاريخ كل مسلم في العالم.

فتاريخ المسلمين جميعا تاريخ واحد، منذ البعثة المحمدية، حتى نهاية الخلافة العثمانية، تاريخ مشترك يجمع بين المسلمين جميعا، ويدعوهم إلى التوحيد

---

(١) سورة الحجرات الآية (١).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٦).

(٣) سورة القلم الآية (٤).

والوحدة، فإذا كان المسلمون يجمعهم تاريخ واحد، أفلا يكون ذلك مدعاة لصناعة الوحدة في الحاضر والمستقبل.

❁❁❁

٥-وحدة في اللغة:

تعد اللغة العربية مظهرا من مظاهر وحدة المسلمين، كما أن دستور الإسلام، القرآن الكريم منزل بلغة العرب، و لا يتأتى فهم ذلك القرآن والعمل به إلا بعد فهم اللغة العربية، وإدراك معانيها، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٢].

واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ولولاه ما بقيت اللغة العربية، فهي باقية ما بقى الإسلام، ولقد كانت وسيلة للتخاطب بين المسلمين في الشرق والغرب فترة طويلة من الزمن، فكان كل مسلم في أي مكان يعرف لغته الأم التي نشأ عليها، وهي اللغة المحلية، وكذا اللغة العربية، بل سمعنا عن علماء كبار نبغوا في علوم الدين واللغة، وكلهم من أصول غير عربية، وأصبحوا أئمة في الدين واللغة.

ومن المفترض أن يعرف كل مسلم من اللغة العربية القدر الذى يعرف به أداء العبادات بصورة صحيحة، مثل الصلاة، ومناسك الحج، وغيرها.

---

(١) سورة يوسف الآية (٢).

(٢) سورة الزمر الآية (٢٨).

وهذا القدر المشترك بين الجميع من اللغة، يتيح لهم التفاهم والتعرف والتقارب، حينما يلتقون سويا في موسم الحج، أو في المناسبات الخاصة والعامة، فاللغة العربية قاسم مشترك بين المسلمين في معظم أقطار الأرض.

❁❁❁

٦-وحدة في الطريق:

إن طريق المسلمين في الحياة طريق واحد إنه طريق متميز وفريد، هو طريق الأنبياء والمرسلين، والجميع يقول في الصلاة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾.

وقال ﷺ: **"تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك"**[1]. إنه الطريق الموصلة إلى الجنة، والتي يطلب المسلم في كل يوم وليلة أكثر من سبع عشرة مرة الثبات عليه، وألا تزل قدمه فيضل أو يهلك. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٥٣ ﴾[2].

❁❁❁

٧-وحده في الدستور:

إن مصادر الدستور والقانون في الأمة الإسلامية هما الرافدان القرآن والسنة، ولا يجوز أن يكون للمسلمين مصدر ينظم حركتهم على هذا الكوكب إلا ما جاء

---

(١) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٦٨/١ عن العرباض بن سارية ﷺ.

(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٣).

عن الله، وعن رسوله ﷺ مهما كانت الظروف والأحوال، فالمسلمون جميعا يخضعون لدستور واحد، ملزم للحاكم والمحكوم، يجب التحاكم اليه، والرضا بحكمه، و تطبيق أحكامه قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[2]. فلا خلاف على أن دستور الأمة واحد، وأنه يجب العمل به، وأن البعد عن تعاليمه يفتح أبواب الفتن والضياع والهلاك.

❁❁❁

٨-وحدة في القيادة:

إن الأمة الإسلامية في حالة تنصيبها لإمام واحد في إدارة شئونها، إنما تقدم أعظم دليل على وحدتها، وقوتها وتماسك بنائها، والأمة الإسلامية على اتفاق بأن قائدها الأول هو رسول الله ﷺ ثم خلفاؤه الراشدون المهديون من بعده، ثم من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فوحدة القيادة في الأمة رمز لوحدة صفها، ومتانة جسدها، وعلو رايتها، وقوة بنائها، وتماسك بنيانها.

فبهذه المظاهر وغيرها تظهر وحدة الأمة الإسلامية كأمتن ما تكون، فالمسلمون أمة واحدة تربط بين أبنائها الأخوة الإسلامية العامة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا

(١) سورة النساء الآية (٦٥).
(٢) سورة المائدة الآية (٤٩).

ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[١]. والأخوة الإسلامية الخاصة في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣].

كما أن ولاء بعضهم لبعض يشد من أزرهم، ويقوى الوشائج بينهم قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[٤].

فيجب أن يلتف الجميع حول قيادة واحدة، فيها من صفات الربانية ما يجعلها محل قبول واحترام، تجمع ولا تفرق، وترقع ولا تمزق، وتبنى ولا تهدم، وتعمر ولا تخرب، من أجل قيادة راشدة تسعد الناس بتعاليم الإسلام، وتصلح الدنيا بالدين، وتنير للبشرية طريقها لتصل بها إلى الحياة الكريمة في الدنيا والآخرة.

❁❁❁

(١) سورة الحجرات الآية (١٠).
(٢) سورة الفتح الآية (٢٩).
(٣) سورة الحشر الآية (٩).
(٤) سورة التوبة الآية (٧١).

المطلب السابع

أثر الوحدة على الفرد والأمة.

لا تتحقق الوحدة الإسلامية وتؤتى ثمارها إلا في ظل تطبيق أحكام الإسلام الذى يقوم على تربية الفرد والمجتمع، ويصبغهما بالصبغة الربانية التي تذوب معها كل الفروق الشكلية، مثل اللون، والجنس، والوطن، واللغة، ويقضى على الصراع القبلي، والعنصري، والطبقي، ليبقى الدين هو القاسم المشترك بين الجميع، فيوحد بين القلوب والأفكار، والقرى والأمصار، ويعيش الجميع إخوانا متآلفين.

❁❁❁

إن وحدة الأمة وتجمعها تحت لواء واحد تثمر ثمارا عظيمة، وخيرات كثيرة، وفوائد جمة، يشعر بها الفرد والمجتمع والأمة، ومن هذه الثمار ما يأتي:

١-أثر الوحدة على الفرد:

إذا كانت وحدة الأمة تؤثر على قوتها وضعفها، فإن وحدة الأمة لها أثر كبير على الفرد أيضا، فالاتحاد عصمة من الهلكة، فالفرد وحده يمكن أن يضيع في وسط الزحام، ويمكن أن يسقط بين الركام، ويفترسه شياطين الإنس والجان، ولكنه في الجماعة محمى بها، كالشاة في وسط القطيع، لا يجترئ الذئب أن يهجم عليها، فهي محميه بالقطيع كله، وإنما يلتهمها الذئب حين تشرد عن جماعتها

وتنفرد بنفسها، فيجد فيها ضالته، ويعمل فيها أنيابه، وكذلك الحال بالنسبة للأفراد. فقوة الأمة من قوة المجتمع، وقوة المجتمع من قوة الفرد، فالفرد القوى يصنع مجتمعا قويا.

و لقد انتدبنا الإسلام لنحقق هذه القوة في أنفسنا لتنعكس على غيرنا ومن حولنا، وفي الحديث النبوي الشريف قال ﷺ: **"المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"**(١).

وفي الحديث **"عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن"**(٢).

والوحدة الإسلامية بمعناها الشامل إذا حصلت للأمة أمكنها أن تحمل رسالتها، وأن تقوم بدورها، وأن تبصر سبيلها وطريقها، وأن تحمى نفسها من التفرق والتشرذم، كما أنها تثمر المحبة والترابط بين أفراد المجتمع الواحد في الرخاء والشدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾(٣).

فالآية الكريمة تبين مدى الترابط الواجب حصوله بين المؤمنين في المجتمع الإسلامي، الذى تؤلف العقيدة بين قلوب أبنائه، وتشد بعضهم إلى بعض، وهي

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٦٤) عن أبى هريرة ﷺ.
(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢١٦٥) حسن صحيح غريب، عن عمر بن الخطاب ﷺ.
(٣) سورة الصف الآية (٤).

تحقق التعاون الوثيق، وهذا التعاون الذى تحدثه العقيدة الصحيحة قوة إيجابية تدفع الأمة إلى الأمام، وتحول ضعفها إلى قوة، وهزيمتها إلى نصر، وبأسها إلى أمل، وتحفظها من كل محاولات النيل منها.

والقصة المشهورة التي علمها الأب لأبنائه، تؤكد هذا المعنى، إذ لم يستطع أي واحد منهم أي يكسر مجموعة العصى المتضامنة، على حين أمكن بيسر كسر كل منها على حده، وقال في ذلك:

كونوا جميعا يا بنى إذا اعترى ∴ خطب ألا تتفرقوا آحادا

تأبى العصى إذا اجتمعن تكسرا ∴ وإذا افترقن تكسرت أفرادا.

❁❁❁

٢-أثر الوحدة على الأمة:

أ-القوة والهيبة للأمة الإسلامية، والتكافل فيما بينهم:

لا شك أن من آثار الوحدة القوة والهيبة للأمة الإسلامية، فالاتحاد يقوى الضعفاء، ويزيد الأقوياء قوة على قوتهم، فاللبنة وحدها ضعيفة مهما تكن متانتها، وآلاف اللبنات المتفرقة والمتناثرة ضعيفة بتناثرها وإن بلغت الملايين، ولكنها في الجدار قوة لا يسهل تحطيمها، لأنها باتحادها مع اللبنات الأخرى، في تماسك ونظام، قد أصبحت قوة إلى قوة، وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف بقوله: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"**[1].

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى (٢٤٤٦) عن أبى موسى الأشعري ﷺ.

ولقد كانت مساحة الأمة الإسلامية جغرافيا تمتد امتدادا واسعا، وهذا دليل على قوة بنيانها، وسعة نفوذها حتى إن الخليفة هارون الرشيد-رحمه الله-كان يخاطب السحابة في كبد السماء بقوله: (أمطري حيثما شئت فسوف يأتيني خراجك) وذلك كناية عن بسط النفوذ إلى مساحات شاسعة، خرجت نطاق الوطن العربي، ودخلت في أوروبا، وكانت الأمة لها حظها الوافر من الهيبة والاحترام بين الأمم الأخرى.

(إني تذكرت والذكرى مؤرقة ∴ مجدا تليدا بأيدينا أضعناه
ويح العروبة كان الكون مسرحها ∴ فأصبحت تتوارى في زواياه
أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد ∴ تجده كالطير مقصوصا جناحاه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها ∴ وبات يحكمنا شعب ملكناه
هل تطلبون من المختار معجزة ∴ يكفيه شعب من الأجداث أحياه
من وحد العرب حتى صار واترهم ∴ إذا رأى ولد الموتور اخاه
أين الرشيد وقد طاف الغمام به ∴ فحين جاوزا بغداد تحداه
لا هم قد أصبحت أهواؤنا شيعا ∴ فامنن علينا براع أنت ترضاه
راع يعيد إلى الإسلام سيرته ∴ يرعى بنيه وعين الله ترعاه) [1]

(١) من قصيدة للكاتب الراحل محمود غنيم -رحمه الله- نشرت بمجلة الرسالة في العدد الخاص بالهجرة في سنة ١٩٣٦م.

ومن مزايا الوحدة الإسلامية أيضا أنها تفسح الطريق أمام التكافل الاجتماعي، والتكامل الاقتصادي، والتعاون العلمي البشري بين الأمة الواحدة، داخل الوطن الإسلامي الكبير، الذى نعيش فيه جميعا، فيكون هناك تكافل بين الدول والشعوب، ويتحررون من التبعية للغرب في الطعام والتقنية والسلاح.

فالدول الإسلامية تحت ظل الوحدة يفيض كل قطر على غيره، بما زاد عن حاجته من ضروريات الحياة، ووسائل الإعاشة، فلا تعرف الاحتكار، ولا الحدود المصطنعة، ولا حواجز الاستعمار، ولا الضرائب المجحفة.

لقد أرسل عمرو بن العاص قافلة بالطعام والشراب من مصر إلى المدينة المنورة في خلافة الفاروق ﷺ وذلك إنقاذا للمسلمين من الفقر والجوع، حينما نزلت بهم الشدائد، وحلت بهم الأزمات.

فالوحدة تجعل الأسواق العربية مفتوحة مع بعضها، كما كان الحال قديما في رحلة الشتاء والصيف، شمالا وجنوبا، فبدلا من أن تغزو البضائع الغربية الاسواق العربية، سعيا إلى الربح السريع، والسيطرة على الأسواق، والتحكم في الأسعار، واحتكار البضائع، تتلاشى كل هذه المخاطر، حينما تنفتح الأسواق العربية بعضها على بعض، وفق ضوابط محددة، مستفادة من التوجه الإسلامي في كون المسلمين أمة واحدة.

❁❁❁

ب-إقامة واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد جعل القرآن الكريم سر تميز هذه الأمة عن غيرها هو أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر فقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٢].

وقد جعل الرسول الأمر بالمعروف أمر واجبا على كل مسلم ومسلمة فقال: **"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"**[٣]. فالولاء بين المؤمنين يعينهم على تغيير المنكر، على قدر الوسع والطاقة.

ولما كان المسلمون تحت راية واحدة، يجمعهم قائد واحد، كانوا يقومون بهذا الأمر خير قيام، فسادوا بذلك العالم، ورفعوا راية الإسلام على العالمين، ويصور الرسول ﷺ المجتمع بأنه سفينة إن ترك بعض ركابها أحدا لينحرف بها، أو يقوم بتصرف غير صحيح ولم يأخذوا على يديه، فسوف تغرق بهم جميعا، فيقول ﷺ: **"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على**

---

(١) سورة آل عمران الآية (١١٠).

(٢) سورة التوبة الآية (٧١).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٩) عن أبى سعيد الخدري ﷺ.

من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم، نجو، ونجو جميعا"[1].

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوفر للأمة النقد الذاتي، الذى يكشف للأمة عن عيوبها فتتلاشاها، وتتفادى أثرها، ويكشف لها عن محاسنها، فتتقدم إليها، كما أنه يربط بين أفرادها برباط الحب والأخوة والتآلف والتراحم والمساعدة والتناصر.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى (٤٣٩٣) عن النعمان بن بشير ﷺ.

المطلب الثامن

العقبات التي تقف في طريق الوحدة.

إن وحدة المسلمين واجتماعهم يوقظ في قلوب الغرب عوامل الخوف والاضطراب، ذلك لأنهم يعتقدون أن الوحدة الإسلامية تنذر بفناء العالم الغربي، وتهدد بغروب شمسه، وتبشر بسيادة الإسلام، وهيمنته على العالم كله.

إن الأعداء يعتبرون أقوى سلاح يمكن أن يفت في عضد المسلمين إنما هو الفرقة بينهم، لذا يسعى كثير من أعداء الإسلام إلى بث بذور الفتنة والمذهبية والتفرقة بين المسلمين بين الحين والآخر، من أجل السيطرة على مجتمعاتهم، والوقوف أمام كل محاولة جادة تدعو إلى الوحدة الإسلامية.

إن أعداء الإسلام يرصدون مواطن القوة عند المسلمين، ويقومون بدراستها وتحليلها، وقاموا بالوقوف على أهمها من أجل اطلاق الهجوم عليها، ومنها الوحدة الإسلامية بين المسلمين.

كتب الدكتور/ عمر فروخ، والدكتور/ مصطفى الخالدي، في كتابهما التبشير والاستعمار في بلاد المسلمين، عنوانا داخليا يقول: خطر الوحدة الإسلامية على الغرب، أوردا فيه بعض أقوال الغربيين، التي تبين خوفهم الشديد من توجه المسلمين نحو وحدة إسلامية، تحقق آمال الشعوب، وصرحوا بذلك تصريحات

في غاية الوضوح، وهذه بعض أقوال الغربيين في الوحدة الإسلامية، يقول لورنس براون:

(١-إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، أو أمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير.

٢-إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدى إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره، إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقية.

٣-يقول القس سيمون: إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة... من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية، حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين[1].

فلا شك أن الاتحاد قوة، ويفسد على المحتلين خططهم وطموحاتهم، في الاستيلاء على خيرات الشعوب الإسلامية، ومصادر الطاقة، والمواد الخام، بأرخص الاسعار.

---

(١) انظر التبشير والاستعمار في بلاد المسلمين د/عمر فروخ، ود/صلاح الخالدي صـ ٣٧ بتصرف يسير.

ومن أهم التحديات التي تواجه الأمة منذ فترة طويلة، وتضع العراقيل أمام وحدتها، وقد نجحت في ذلك نجاحا ملموسا ما يأتي:

الغزو الفكري بأجنحته الثلاثة:

إن الحديث عن الغزو الفكري والتغريب إنما يعنى أن الأمة المسلمة مستهدفة في عقيدتها ووحدتها، ومن ثم فهي في حاجة إلى التحصين الفكري والنفسي- والوجداني، لحماية المسلمين من التحديات التي تواجه الأمة كلها، فهناك مؤامرات تحاك من طرق كثيرة، لا تريد أن يصل المسلم إلى مفهوم الإسلام الأصيل، وذلك بحجب الرؤيا الصحيحة، وتزييف الوقائع، والتشكيك في الحقائق، وإثارة الشبهات.

(ويتميز الغزو الفكري بالشمول والامتداد، فهو حرب دائبة لا يحصرها ميدان، بل تمتد إلى شعب الحياة الإنسانية عموما، وتسبق حروب السلاح، وتواكبها، بل تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته حتى يلين ويستكين، وينقص تماسكه النفسي، حتى يذوب كيانه، فيقبل التلاشي والفناء في بوتقة أعدائه، أو يصبح امتدادا ذليلا لهم، بل ربما تبلغ هذه الحرب حدا من الإتقان يصل بها إلى أغوار النفس فتقلب مفاهيمها ومعاييرها، وتشكل أنماطا جديدة في السلوك والأخلاق والأذواق)[1].

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د/ عبد الستار فتح الله سعيد صـ٢٠ بتصرف.

وقد كانت آثار هذا الغزو مروعه وضاربه، إذ فتنت كثيرا من بلاد المسلمين بالحضارة الغربية المادية، وأنشأت أجيالا سبحت بحمد الغرب، وتنادى البلاد بأن يسيروا على مناهجه وطرق عيشه في شتى ميادين الحياة، ذلك لأن فيه النموذج والمثل الأعلى.

لقد أدرك الاستعمار أن دعوة الإسلام ما انتشرت إلا بفضل عقيدته الصحيحة، وتعاليمه الرشيدة التي صاغت مجتمعا تأبى على كل محاولات التذويب والتضليل، فقد زرعت في نفوسهم مبادئ التوحيد، والعدل، والوحدة، والإخاء والمحبة والمساواة وأدرك الاستعمار كذلك، أن هذه الدعوة الربانية هي السر المنيع أمام الصليبية الغربية، والشيوعية الدولية، والصهيونية العالمية، وأنه لا سبيل له إلى انتهاب ثروات العالم الإسلامي الطبيعية المتوفرة إلا بالسيطرة عليه، ولا سبيل لذلك إلا بإضعاف المسلمين ماديا ومعنويا، فجيش الاستعمار جيوش المبشرين والمستشرقين ليكونوا طلائع الجيوش العسكرية، ثم ليكونوا بعد السيطرة العسكرية عوامل هدم في بناء المجتمع الإسلامي، وتمزيق وحدته، لئلا يفكر في الثورة على المستعمر وإنقاذ البلاد منه، والاستعمار هو المحصلة النهائية للاستشراق والتبشير.

❁❁❁

آثار الغزو الفكري على الأمة الإسلامية:

يمكن أن نجمل آثار الغزو الفكري السيئة، وعواقبه الفادحة، على الأمة في ما يأتي:-

(١-إضعاف شوكة الإسلام، وإقصاؤه عن مختلف مجالات الحياة، وحصره في مجال العبادات، بعيدا عن تنظيم المجتمع الخاص والعام، تطبيقا لفكرة فصل الدين عن الدولة.

٢-إمتهان الشخصية الإسلامية ومحاولة القضاء عليها وإذابتها في غيرها.

٣-بعث قوميات ما قبل الإسلام، ومناهضة الثقافة الإسلامية، وغزو المجتمع بالكتب المترجمة التي تهاجم العقيدة، وتزهد في القيم، وتشجع على الإلحاد.

٤-تفتيت الوحدة الإسلامية وإثارة الفتن، وبذر بذور الشقاق في المجتمعات الإسلامية.

٥-نهب ثروات الأوطان الإسلامية والتحكم في مصائرها وإيجاد شخصيات في قلب العالم تدين بالولاء للاستعمار، وتسعى إلى مرضاته)[1].

٦-تشجيع الظاهرة القومية، لتكون بديلا عن الإسلام عند بعض المسلمين، بزعم أن الدين لا يصلح موحدا للأمة، وأن القومية هي الدين الذى يجب أن يغار عليه.

---

(١) قوى الشر المتحالفة، للشيخ محمد الدهان، صـ١٥٢. ط/ دار الوفاء بالمنصورة.

٧-تشجيع التطاول على الدين لدى نفر من المتأثرين بهم، من الذين يعيشون في بلاد المسلمين، ويتكلمون بألسنتهم، ويفكرون بعقولهم، ويتنفسون برئتهم، ويقلدونهم في كل شيء. يقول الاستاذ محمد محمود الصواف: (وهذه هي الشروط الأربعة المشؤمة، التي فرضتها دول الاستعمار على تركيا:

١-إلغاء الخلافة الإسلامية نهائيا من تركيا.

٢-أن تقطع تركيا كل صلة مع الإسلام.

٣-أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية في تركيا.

٤-أن يستبدلوا الدستور العثماني القائم على الإسلام، بدستور مدنى بحت، فقبل مصطفى كمال هذه الشروط، ونفذها بحذافيرها، فتركته دول الاستعمار) [1].

هذه بعض مؤامرات الغزو الفكري على الأمة الإسلامية، التي تبين شراسة المعركة وضراوتها، وأنها كانت تسير حسب خطط مرسومة، تستهدف إضعاف المسلمين، وتفكيك خلافتهم، والوصول بهم إلى أقصى مراحل الضعف والوهن.

❁❁❁

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام أ/ محمد محمود الصواف ص ١٢٨.

المطلب التاسع

الطريق إلى وحدة المسلمين.

إن شعار الوحدة لا يزال نظريا بين المسلمين، فهو لا يتعدى أصوات الخطباء والمتحدثين في الندوات والمؤتمرات، دون سعى حقيقي عملي، لكى تترجم الأقوال إلى أعمال، والشعارات إلى واقع، فالوحدة تحتاج إلى طرح نظري وعملي، يقوم على الإقناع، والعمل المتواصل، والسعي الدؤوب وأن تؤمن به الشعوب والحكومات.

فالإيمان القوى، والعزيمة الصلبة، والتضحيات الكبيرة، كل ذلك يعد الأساس المتين، الذى يقف خلف المطالبة بعودة الوحدة الإسلامية من جديد.

والوحدة الإسلامية لا تفرض على الشعوب، لأن فرض الوحدة بالقوة والإكراه والقسر، يؤدى إلى التخلص منها سريعا بنفس القوة التي فرضت بها، ولكل فعل رد فعل، فالقوة التي استخدمت لفرض الوحدة على الاتحاد السوفيتي ظلت آثارها كامنة في نفوس الشعوب، ثم تبلورت في الساعة المناسبة لكسر هذا القيد، وفك هذا الأسر الذى فرضه عليهم الاتحاد بالحديد والنار، وكانت نهايتها الفشل والخسران.

إن استخدام القوة في فرض الوحدة لا يزيدها إلا تفتتا وتشردا، لأنها تزيد النفوس نفورا، والعقول تباعدا، وتزيد الناس تعصبا.

إن الناس مهما تنوعت انتماءاتهم وتوجهاتهم لا يصلح حالهم إلا بتعايش بعضهم مع بعض، خاصة عند معرفة كل طرف حقوق الآخر، فيعيشون في احترام متبادل، يقوم على العدل والإنصاف، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[2].

إن الخيار الوحيد الذى يدعو إليه العقل، والمنطق السليم، ويفرضه الواقع، ويدعو إليه المخلصون من أبناء الأمة هو التعايش السلمى بين جميع الفئات المختلفة، ومن حق كل طرف أن يتمسك بقناعته بمعتقداته وأرائه والعمل وفق اجتهاداته المذهبية، وأن يعيش الجميع مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات، متعاونين جميعا من أجل المصلحة العامة، و في مواجهة الأخطار المشتركة التي تواجه أمتنا في حاضرها ومستقبلها.

إن المسئولية مشتركة بين الجميع، الحكام، والعلماء، والشعوب، فلا بد أن تتضافر الجهود لتوفير أجواء التعايش والانسجام بين الجميع، على أساس من المساواة والعدل بين الناس.

---

(١) سورة المائدة الآية (٢).

(٢) سورة النساء الآية (١٣٥).

أهم الوسائل التي تساعد على تحقيق الوحدة الإسلامية ما يلى:

إن طريق العودة إلى الوحدة الإسلامية واضح لا شبهة فيه، مستقيم لا اعوجاج فيه، بدليل قول النبي ﷺ: **"تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك"**(١).

يقول إقبال-رحمه الله-:

وفي التوحيد للهمم اتحاد ∴ ولن تبنوا العلا متفرقينا

ألم يبعث لأمتكم نبي ∴ يوحدكم على نهج الوئام

ومصحفكم وقبلتكم جميعا ∴ منارة للأخوة والسلام

وفوق الكل رحمن رحيم ∴ إله واحد رب الأنام(٢).

فالاعتصام بالكتاب والسنة هو سفينة النجاة، من تمسك بهما نجا، ومن تخلف عنهما غرق وهلك، وقد سلك النبي ﷺ عدة وسائل لبناء المجتمع المسلم الأول، ويمكن الاستفادة منها في إعادة المحاولة من جديد، لبناء مجتمع مسلم كبير موحد، يحقق الأخوة والوحدة الإسلامية بين جميع المسلمين، غير مرتبط بقطر أو إقليم أو دولة، وهي:

❁❁❁

(١) الحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٦٨/١ عن العرباض بن سارية ﷺ.

(٢) انظر ديوان العلامة محمد إقبال من قصيدة حديث الروح.

١-إعداد الفرد المسلم:

الوحدة تحتاج إلى بنية تحتية قوية، وهي تبدأ من الفرد المسلم الذى يسعى إلى خلق حقائق الوحدة في بيئته، وطرد كل عوامل الهدم التي تقف في طريق الوحدة في محيطه الذى يعيش فيه، وبناء الفرد المسلم عن طريق ما يلى:

أ-تربية في البيت على آداب الإسلام وتعاليمه.

ب-أسلمة مناهج التعليم.

ج-إحياء دور المسجد بمفهومه الشامل.

د-نشر الثقافة الإسلامية عن طريق وسائل الإعلام، ودور الكتب، وإقامة الندوات والمسابقات الهادفة.

هـ-توفير المناخ المناسب للفرد لكى يخرج مواهبه الذاتية.

و-العمل على سد حاجاته وتوفير متطلباته.

❁❁❁

٢-العمل على بناء الأسرة المسلمة عن طريق ما يأتي:

أ-اختيار الزوجة الصالحة الملتزمة بتعاليم الدين.

ب-التربية الإيمانية للأولاد ونشر الثقافة بينهم.

جـ-تطهير البيت من أي شيء يعوق التربية الإيمانية.

❁❁❁

٣- العمل على إقامة المجتمع المسلم عن طريق ما يأتي:-

أ-العمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في كل مجالات الحياة المختلفة.

ب-إصلاح الهيئات العامة والمصالح الحكومية.

جـ-نشر الفضيلة بين أبناء المجتمع.

د-القضاء على المفسدين والمنتهبين من أفراد المجتمع.

هـ-أسلمة المجتمع بنشر المظاهر الإسلامية بين أفراده في كل مكان.

❁❁❁

٤-العمل على إقامة الأمة المسلمة:

أ-العمل على إعادة الخلافة الإسلامية. وجمع الدول الإسلامية تحت راية حاكم واحد.

ب-السعي الدؤوب للوصول إلى أستاذية العالم، وقيادة العالم الإسلامي تحت حكم راشد يصلح الدنيا بالدين، ويقود النفوس إلى عزها في الدنيا، وسعادتها في الآخرة.

❁❁❁

٥-المبشرات بعودة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة:

هناك مبشرات كثيرة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي، والواقع المعاصر، تبشر بعودة الخلافة الإسلامية من جديد، وانتشار الإسلام في أنحاء المعمورة، وإقامة الحق والعدل.

وهذا مما يبعث الأمل في النفوس، ويبعد اليأس والقنوط عن قلوب الدعاة والمصلحين، خاصة مع الواقع الأليم الذي تعيش فيه الأمة المسلمة، والمعاناة والابتلاءات التي نزلت بها من كل مكان، لكن هذا العود الحميد مرتبط بعودة المسلمين جميعا إلى الله ﷻ والعمل المتواصل على نصرة الدين، والله ﷻ يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾[1].

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإذا ما عاد المسلمون إلى الدين والعمل، عاد الله عليهم بالنصر والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3].

وعن النعمان بن بشير قال: "كنا قعودا في المسجد، وكان بشير رجلا يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟.

---

(١) سورة الاسراء الآية (٨).

(٢) سورة النور الآية (٥٥).

(٣) سورة الصف الآية (٩).

فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة، ثم سكت"**(١).

فالحديث السابق يبين في وضوح وجلاء، أن الإسلام سوف ينتشر انتشارا واسعا في ربوع العالم كله، وأن الخلافة الإسلامية سوف تعود من جديد، لتقدم عدالة الإسلام إلى البشرية، وأن المستقبل لرسالة الإسلام الخالدة، فهي رسالة ربانية عالمية، تقدم الخير للمسلمين وغيرهم من الناس، في الدنيا والأخرة.

إن هذه الوعود السابقة صادقة لا ريب فيها، وهي واقعة لا محالة، لكنها مرتبطة بجهود المسلمين في الأخذ بالأسباب، وبسنن الله ﷻ في الكون والحياة، قال تعالى: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾(٢).

نسأل الله ﷻ أن يجعل ذلك قريبا، وأن يعز الإسلام والمسلمين.

❁❁❁

(١) الحديث ذكره الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩١/٥ وقال: رجاله ثقات، عن النعمان بن بشير ﷺ.

(٢) سورة الروم الآيتان (٦-٧).

المطلب العاشر: النتائج والتوصيات.

إن الوحدة هي الخيار الوحيد للأمة للخروج من أزماتها، ولحل الكثير من مشكلاتها، فهي تشكل مناعة ذاتية داخلية، تقف أمام الفتن الطائفية، والنزعات العرقية، والصراعات المذهبية.

ويمكن تلخيص أهم هذه الوسائل التي تساعد في عودة الوحدة الإسلامية فيما يأتي:

١-زيادة الوعى الديني والثقافي لدى الغالبية العظمى من المسلمين بنشر الثقافة الإسلامية.

٢-بناء الشخصية المسلمة على مفاهيم الوحدة والترابط، وبيان خطورة الفردية والانعزال، والتحذير من الأنانية والأثرة، وكل ما من شأنه أن يضعف شخصية المسلم.

٣-استمرار طرح موضوع الوحدة من العلماء والخطباء والوعاظ في الخطب والدروس والمحاضرات والندوات والمؤتمرات المتكررة لهذه القضية الهامة في حياة المسلمين، حتى تكون هناك تعبئة شعبية عامة تنفعل مع القضية.

٤-عدم التنقيب في خلافات السابقين أو تضخيمها بما يغير الصدور ويقسم الصفوف وحسبنا قوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة الآية (١٣٤).

٥-طبع الكتب التي تدعو إلى الوحدة الإسلامية وتكثيف توزيعها في كل تجمع إسلامي حتى تكون الوحدة هي مطلب الشعوب الإسلامية جميعا.

٦-التركيز في جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة على ضرورة طرح مفاهيم الوحدة بين الأمة والحوار حولها من جميع الهيئات العاملة للإسلام، مع التركيز على نقاط الاتفاق، والتقليل من نقاط الإختلاف. ويمكن للإعلام المعاصر-خاصةً الفضائيات-أن يقوم بدور هام وإيجابي في التوعية وتوحيد الصف، وتوجيه الفكر والرأي، نحو التعايش السلمى بين الطوائف المختلفة من أبناء الأمة الواحدة، وذلك إذا أحسن توظيفها واستثمارها.

٧-التدرج في تطبيق الوحدة الإسلامية، من خلال العمل على إقامة الوحدة العلمية بين الدول الإسلامية، ويتمثل ذلك في إنشاء المجامع العلمية المشتركة، التي تضم علماء المسلمين في الشرق والغرب، وتوحد موقفهم أمام القضايا المصيرية الهامة.

٨-تفعيل وتكثيف دور المؤسسات والمنظمات الحكومية والأهلية الداعية إلى الوحدة الإسلامية، والتنسيق بينها بصور مختلفة، من أجل الوصول إلى الهدف المنشود.

❁❁❁

خاتمة البحث.

الوحدة الإسلامية مشروع نهضوي كبير، يقوم على أسس صحيحة، من حيث دراسة الواقع، وتحديد نقطة النهاية التي وصلت إليها البشرية في الشرق والغرب، وإيجاد البديل الأصلح والأنفع للناس جميعا.

وقد أوضحت هذه الدراسة عن الطريق إلى وحدة المسلمين، أن الرافدين الأصليين في الإسلام-القرآن والسنة-قد حثا على الوحدة والاتحاد والترابط، ووجوب النصرة بين المسلمين في كل مكان من بقاع العالم، كما حذرا أشد التحذير من الفرقة والتخاذل، حيث إنهما يقودان الأمة إلى الضعف والضياع، والتمزق والتشرذم، والهزيمة والسقوط.

ومن يوم أن سقطت الخلافة الإسلامية ورجالات الأمة من مصلحين وعلماء مخلصين يسعون إلى عودتها، ويجاهدون في سبيل إقامتها، وإن كان جهادهم هذا قد انقسم إلى جهاد قاصر لناحية معينة من نواحي الدين، أو جهاد شامل لكل نواحي الدين، إلا أن الكل مجمع على وجوب العمل لعودة الخلافة الإسلامية.

إن واقع الأمة الإسلامية واقع مؤلم ومرير، بسبب تكالب الأعداء من الخارج، وبسبب غياب المنهج الإسلامي الراشد في التشريع، ومع ذلك يبقى الأمل قائما في السعي إلى إقامة الوحدة الإسلامية، لما لها من أثار طيبة على الفرد والمجتمع والأمة.

ولقد ظهرت على الساحة المعاصرة أطروحات كثيرة لمعالجة غياب الوحدة الإسلامية، وهي جهود محمودة تبذل ما تستطيع من جهد وعمل، عسى أن يكتب الله لأحدها النجاح والتوفيق مثل:

١-جامعة الدول العربية[١].

هي منظمة تضم دولا في الشرق الأوسط وأفريقيا، ويعتبر أعضاؤها دولا عربية، ينص ميثاقها على التنسيق بين الدول الأعضاء في الشؤون الاقتصادية، و من ضمنها العلاقات التجارية، الاتصالات، العلاقات الثقافية، الجنسيات ووثائق وأذونات السفر والعلاقات الاجتماعية والصحة.

المقر الدائم لجامعة الدول العربية يقع في القاهرة، عاصمة مصر- (تونس من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٠). وأمينها العام الحاليّ هو عمرو موسى.

تسهل الجامعة العربية إجراء برامج سياسية و اقتصادية و ثقافية و علمية و اجتماعية لتنمية مصالح العالم العربي من خلال مؤسساتٍ مثل مؤسسة جامعة الدول العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو) و مجلس الوحدة الاقتصادية العربية.

لكل دولةٍ عضوٌ صوتٌ واحدٌ في مجلس الجامعة، و لكن القرارات تلزم الدول التي صوتت لهذه القرارات فقط. كانت أهداف الجامعة في عام ١٩٤٥: التعزيز و

(١) انظر ميثاق جامعة الدول العربية، النظام الداخلي لمجلس الجامعة، صـ١٣-١٥ وموسوعة ويكيبيديا باللغة العربية على الإنترنت تحت عنوان جامعة الدول العربية.

التنسيق في البرامج السياسية والبرامج الثقافية والاقتصادية والاجتماعية لأعضائها، و التوسط في حل النزاعات التي تنشأ بين دولها، أو النزاعات بين دولها و أطرافٍ ثالثة. وعلاوة على ذلك، الدول التي وقعت على اتفاقِ الدفاع المشترك و التعاون الاقتصادي في ١٣ أبريل ١٩٥٠ ملزمةٌ على تنسيق تدابير الدفاع العسكري.

لعبت الجامعةُ العربيةُ دورا هاما في صياغة المناهج الدراسية، و النهوض بدور المرأة في المجتمعات العربية، وتعزيز رعاية الطفولة، و تشجيع برامج الشباب والرياضة، والحفاظ على التراث الثقافي العربي، وتعزيز التبادلات الثقافية بين الدول الأعضاء. [بحاجة لمصدر] فقد تم إطلاق حملاتٍ لمحو الأمية، و عمليات نسخٍ للأعمال الفكرية، و ترجمةٍ للمصطلحات التقنية الحديثة لاستخدامها داخل الدول الأعضاء. كما تشجع الجامعة اتخاذ التدابير اللازمة لمكافحة الجريمة وتعاطي المخدرات، وللتعامل مع القضايا العمالية، ولاسيما بين القوى العربية العاملة في المهجر.

٢-منظمة المؤتمر الإسلامي[١].

تجمع سبعا وخمسين دولة، لدمج الجهود، والتكلم بصوت واحد لحماية وضمان تقدم مواطنيهم وجميع مسلمي العالم البالغ عددهم حوالي ١,٤ مليار نسمة. و هي منظمة دولية ذات عضوية دائمة في الأمم المتحدة.

(١) انظر موسوعة ويكيبيديا باللغة العربية على الإنترنت، تحت عنوان منظمة المؤتمر الإسلامي.

الدول السبع والخمسون هي دول ذات غالبية مسلمة من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وغربها وآسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا وشبه القارة الهندية، (باستثناء غويانا وسورينام). الرباط، ٢٥-٠٩-١٩٦٩. تأسست المنظمة إذ عقد أول اجتماع بين زعماء عالم الإسلام، بعيد حريق الأقصى- ٢١-٠٨-١٩٦٩. حيث طرح وقتها مبادئ الدفاع عن شرف وكرامة المسلمين المتمثلة في القدس و قبة الصخرة، وذلك كمحاولة لإيجاد قاسم مشترك بين جميع فئات المسلمين.

بعد ستة أشهر من الاجتماع الأول -٠٣-١٩٧٠- تبنى المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الخارجية، في جدة، إنشاء أمانة سر عامة للمنظمة، كي يضمن الاتصال بين الدول الأعضاء وتنسيق العمل. عين وقتها أمين عام واختيرت جدة مقرا مؤقتا للمنظمة، بانتظار تحرير القدس، حيث سيكون المقر الدائم.

عقد المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية جلسته الثالثة، في فبراير ١٩٧٢، وتم وقتها تبنى دستور المنظمة، الذي يفترض به تقوية التضامن والتعاون بين الدول الإسلامية في الحقول الاجتماعية والعلمية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

تتكون منظمة المؤتمر الإسلامي من الأجسامِ الرئيسية التالية:

مؤتمر الملوك ورؤساء الدول والحكومات، وهو يشكل السلطة الفعلية و العليا للمنظمة و يجتمع مرة كل ثلاث سنوات لوضع سياسة المنظمة

مؤتمر وزراء الخارجية، و هو يجتمع مرة في السنة لدراسة تطورات و تقدّم العمل في تطبيقِ القرارات التي تم وضعها في اجتماعات القمّة الإسلامية.

أمانة السر العامة، وجهاز المنظمة التنفيذي، الذي يتوقع منه متابعة القرارات وحث الحكومات على تطبيقها. يرأسه حاليا أكمل الدين إحسان أوغلي، كأمين عام لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

٣-ظهور بعض الحركات الإسلامية الكبرى في كل أنحاء العالم الإسلامي، ولها امتداد في خارجه، قامت بالدرجة الأولى، بهدف عودة المسلمين إلى الخلافة الغائبة، والوحدة الإسلامية بين أجزاء الوطن العربي، وباقي البلاد الإسلامية خارج النطاق الجرافي.

وكل له دوره على قدر الوسع والطاقة والمسؤولية، والعالم الأن ينتظر استيقاظ المسلمين من نومهم، ليستعيدوا مجدا أضاعوه، ويقوموا برسالتهم المنوطة بهم، ودورهم المنشود: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[1].

والحمد لله أولا وآخرا الذى بنعمته الصالحات.

والله ولي التوفيق.

❁❁❁

(١) سورة الإسراء الآية (٥١).

المراجع.

القرآن الكريم.

كتب السنة النبوية.

١- لسان العرب لابن منظور دار صادر، بيروت ط، الأولى.

٢- في ظلال القرآن، أ سيد قطب، ط، دار الشروق بيروت ط، الرابعة والعشرون، سنة١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.

٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام السيوطي.

٤- تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير. ط، دار المنار بيروت.

٥- مختصر تفسير ابن كثير. للشيخ، محمد على الصابوني ط، دار القرآن الكريم بيروت.

٦- السيرة النبوية لابن هشام

٧- الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ط، رابطة العالم الإسلامي ط، الخامسة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٨- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د، عبد الستار فتح الله سعيد. ط، دار النشر والتوزيع.

٩- قوى الشر المتحالفة، للشيخ، محمد محمد الدهان ط، دار الوفاء بالمنصورة.

١٠- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام أ، محمد محمود الصواف.

❁❁❁

السيرة الذاتية الخاصة بالدكتور/ أحمد عبد الهادي شاهين.

المؤهلات:

(١) ليسانس أصول الدين والدعوة من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة سنة ١٩٨٩م قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بتقدير (جيد جدا مع مرتبة الشرف).

(٢) ماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٥م بعنوان (مشكلات الشباب النفسية والاجتماعية وعلاج الإسلام لها) بتقدير (ممتاز).

(٣) الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان. من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٩م بعنوان (خصائص الدعوة في العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم دراسة مقارنة) بتقدير (مرتبة الشرف الثانية).

الوظائف السابقة:

١. عمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف المصرية من ١/ ٣/ ١٩٩٠م. حتى ٢٠/ ٢/ ١٩٩٣م.
٢. عمل معيدا بجامعة الأزهر في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢١/ ٢/ ١٩٩٣م. حتى ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٥م.
٣. عمل مدرسا مساعدا في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٥م. حتى ٤/ ٥/ ١٩٩٩م
٤. عمل مدرسا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من٥/ ٥/ ١٩٩٩م حتى ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م.
٥. عمل أستاذا مساعدا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م حتى ١يوليو ٢٠٠٤.
٦. عمل أستاذا مشاركا في الجامعة الإسلامية بأمريكا متشجن دوترويد من ١ يوليو ٢٠٠٤م حتى ٣٠ يونيو ٢٠١١.
٧. عمل أستاذا للدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة طيبة. بالمدينة المنورة. المعهد العالي للأئمة والخطباء. من ١ يوليو ٢٠١١ م. حتى ٢٠٢١م.

٨. **الوظيفة الحالية: أستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر.**

التخصص الدقيق: (الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان).

المواد التي يقوم بتدريسها:/ الدعوة/ الخطابة/ الثقافة الإسلامية/ تاريخ الخلفاء/ إسلام في المشرق/ الفرق/ فقه السيرة النبوية/ الاستشراق/ التنصير/ مقارنة الأديان/ اليهودية/ النصرانية/ مناهج الدعوة/ آيات الله الإنسانية/ آيات الله الكونية/ قضايا معاصرة/ خلق المسلم/ رسالة المسجد/ حقوق الإنسان في الإسلام.

أعمال أخرى:

(١) انتدب للتدريس في كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية، ومعهد الثقافة بوزارة الأوقاف، ومعاهد إعداد الدعاة.

(٢) يقوم بالخطابة والدروس والمحاضرات في مساجد الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ومساجد الجمعية الشرعية منذ عام ١٩٨٩م حتى الآن.

(٣) سافر إلى دول أوروبا وأمريكا لإلقاء خطب الجمعة والمحاضرات والدروس الرمضانية، وحضور المؤتمرات والندوات العلمية.

(٤) له العديد من المقالات في مجلة التبيان المصرية. وجريدة الأهرام القاهرية. وجريدة عقيدتي. والأحاديث الإذاعية بإذاعة القرآن الكريم ونداء الإسلام من مكة المكرمة.

يجيد الحديث باللغة الإنجليزية، واستخدام الحاسب الآلى.

تاريخ الميلاد:٢٧/ ٢/ ١٩٦٧م.

الحالة الاجتماعية: متزوج وله أربعة من الأولاد.

عنوان السكن في مصر: محافظة الدقهلية-مدينة أجا-خلف الإدارة الزراعية.

عنوان العمل في مصر: كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ت/ ٠٤٨ ٢٣١٦٨٩١ /٢.

البريد الإلكتروني: drahmed1967@yahoo.com.

❁❁❁

المؤلفات الخاصة بالدكتور/أحمد عبد الهادي شاهين.

✍ سلسلة كتب في الدعوة والخطابة:

١. الدعوة إلى الإسلام قواعد وأصول.
٢. وسائل الدعوة الإسلامية وأساليبها في ضوء القرآن والسنة.
٣. القواعد المنهجية للدعوة عند السلف.
٤. السيدة عائشة ﵂ وجهودها في الدعوة الإسلامية.
٥. الدعوة الإسلامية في أمريكا (رؤية من الداخل).
٦. الخطابة قواعد وأصول.
٧. المساجد بين الاتباع والابتداع.
٨. في ظلال خلق المسلم. الجزء الأول.
٩. في ظلال خلق المسلم. الجزء الثاني.
١٠. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الثالث.
١١. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الرابع.
١٢. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الخامس.
١٣. في ظلال خطب الجمعة. الجزء السادس.
١٤. واحة الإمام في إرشاد الأنام. ١٠٠ خطبة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
١٥. الوحدة الإسلامية فريضة وضرورة.
١٦. قطوف من الأدب والحكمة.

❁❁❁

سلسلة كتب مشكلات الشباب:

١٧. مشكلة الانحراف الجنسي عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٨. مشكلة الإدمان والتدخين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٩. مشكلة الغلو في الدين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

٢٠. مشكلة القلق عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

❁❁❁

سلسلة كتب مقارنة الأديان.

٢١. اليهودية في ضوء العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها.

٢٢. النصرانية في ضوء العهد الجديد وموقف القرآن الكريم منها.

٢٣. خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة.

٢٤. المسيح عليه السلام بين النصرانية والإسلام (دراسة مقارنة).

٢٥. التنصير وخطره على العالم الإسلامي.

٢٦. دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية.

٢٧. الاستشراق في ميزان الإسلام.

٢٨. العلمانية وخطرها على المجتمعات المسلمة.

٢٩. الحوار بين الأديان. (تعايش لا ذوبان).

٣٠. تحقيق مخطوط (الأدلة العقلية على أشرفية الشريعة المحمدية).

لإبراهيم بن محمد الراوي العراقي.

❁❁❁

الفهـــرس.

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	**٣**
أهمية الموضوع.	**٧**
المطلب الأول: التعريف بعنوان الموضوع.	**١٢**
معنى الوحدة في اللغة.	١٢
معنى الوحدة في الاصطلاح.	١٣
معنى فريضة وضرورة.	١٤
الفرق بين التحالف والوحدة.	١٧
مقارنة بين أمريكا وأوربا والدول الإسلامية.	١٨
المطلب الثاني: دعوة القرآن والسنة إلى الوحدة والتحذير من الفرقة.	**٢٠**
أولا: الحث على الوحدة في القرآن الكريم.	٢٠
ثانيا: الحث على الوحدة في السنة النبوية.	٢٨
ثالثا تحذير القرآن الكريم من الفرقة.	٣٧
رابعا: تحذير السنة من الفرقة.	٤٢
المطلب الثالث: أهم الأسباب التي تدعوا إلى الفرقة والاختلاف.	**٥٠**
١-اتباع الأهواء.	٥٠
٢-حب الدنيا والأثرة العمياء.	٥٢
٣-النظرات التي تدعو إلى القومية.	٥٥
٤-الصراع على الحكم.	٥٧

المطلب الرابع: التنوع والاختلاف والتعدد والتعايش داخل الأمة الواحدة.	٦٥
التنوع والاختلاف ظاهرة صحية.	٦٥
من مقاصد التعدد.	٦٨
المذاهب الفقهية والاختلاف.	٦٩
الفرق بين الخلاف الفقهي والفرقة.	٧١
التعايش بين السنة والشيعة.	٧٣
تعايش غير المسلمين في المجتمع المسلم.	٧٤
المطلب الخامس: واقع الأمة وحاجتها إلى الوحدة.	٧٦
المطلب السادس: العوامل التي تقوم عليها الوحدة الإسلامية.	٨٢
١-وحدة الغاية والهدف والعقيدة.	٨٤
٢-وحدة العبادات.	٨٦
(أ) الصلاة تدعو إلى الوحدة.	٨٦
(ب) الصيام يدعو إلى الوحدة.	٨٧
(ج) الزكاة تدعو إلى الوحدة.	٨٨
(د) الحج تجسيد للوحدة.	٨٩
٣-وحدة القدوة والأسوة.	٩٢
٤-وحدة في التاريخ.	٩٣
٥-وحدة في اللغة.	٩٤
٦-وحدة في الطريق.	٩٥
٧-وحده في الدستور.	٩٥
٨-وحدة في القيادة.	٩٦

المطلب السابع: أثر الوحدة على الفرد والأمة.	**٩٨**
١-أثر الوحدة على الفرد.	٩٨
٢-أثر الوحدة على الأمة.	١٠٠
أ-القوة والهيبة للأمة الإسلامية	١٠٠
ب-إقامة واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.	١٠٣
المطلب الثامن: التحديات التي تقف في طريق الوحدة.	**١٠٥**
الغزو الفكري بأجنحته الثلاثة.	١٠٧
آثار الغزو الفكري على الأمة الإسلامية.	١٠٩
المطلب التاسع: الطريق إلى وحدة المسلمين.	**١١١**
١-إعداد الفرد المسلم.	١١٤
٢-بناء الأسرة المسلمة.	١١٤
٣-إقامة المجتمع المسلم.	١١٥
٤-العمل على إقامة الأمة المسلمة.	١١٥
٥-المبشرات بعودة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة.	١١٥
المطلب العاشر: النتائج: من الوسائل التي تساعد على عودة الوحدة الإسلامية.	١١٨
الخاتمة.	**١٢٠**
المراجع.	**١٢٥**
السيرة الذاتية.	**١٢٦**
المؤلفات والكتب.	**١٢٨**
الفهرس.	**١٣٠-١٣٢**

❁❁❁